مساهمات الإمام الباقلاني في مقارنة الأديان مع التركيز الخاص على مناظراته مع النصارى

محمد علي حيدر

جامعة دار الهدى الإسلامية

كيرالا، الهند

2018

مساهمات الإمام الباقلاني في مقارنة الأديان مع

التركيز الخاص على مناظراته مع النصارى

محمد حيدر

رسالة مقدمة لنيل متطلبات شهادة الماجستير في الإسلاميات والعلوم الإنسانية (قسم الدعوة ومقارنة الأديان)

جامعة دار الهدى الإسلامية، الهند

مايو 2018

بسم الله الرحمن الرحيم

ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (سورة النحل ١٢٥)

خلاصة البحث

هذه الدراسة تبحث عن مساهمات الإمام أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني الذي عاش في القرن الرابع الهجري في مقارنة الأديان ومنهجه في مناظراته مع النصارى مع جمعها. ومن الجدير بالذكر مساهماته القيمة في مقارنة الأديان مع أنه متبحر مشهور في علم الكلام. وكانت بين المسلمين والنصارى علاقة أريقة سياسيا واجتماعيا في عصره. وجرت بينه وبين النصارى مناظرات في العقائد الإسلامية والنصرانية المختلف فيها مثل إلهية عيسى. وليس أي دراسة موجودة تذكر مساهماته في مقارنة الأديان وتجمع جميع مقاطعات مناظرة الإمام الباقلاني مع ملك الروم وبطاريك النصارى. وهذا البحث يذكر تلك المصنفات مع جمع المناظرات مع ملك الروم من الكتب التاريخية مع بيان منهجها. ويلخص الباحث على أن الإمام الباقلاني استطاع أن ينشر العقائد الإسلامية للغير بإثباتها بعقله وأفكاره في المناظرات التي وقعت بينه والنصارى وغيرهم.

ABSTRACT

This study analyses the debates of the Muslim versatile scholar Imām Abū bakr Muḥammad Ibn al- Ṭayyib al-Bāqillāni with Christian scholars, its methodology and his contributions to the Comparative Religion. It is worth mentioning that he contributed to Comparative Religion while he was a famous scholar in the field of Ilm al-Kalām and there was a deep political and social connection among Muslims and Christians in that period. Many debates was conducted between him and Christians on the Islamic and Christian doctrines like trinity. There is no any studies which analyzes his contribution to Comparative Religion, brings the all parts of the debate conducted between al-Bāqillāni and king of Rome and Christian scholars and analyzes its methodology also. This study mentions such these contributions and brings the parts of his debates from the famous historical books. Here the researcher concludes that al-Bāqillāni could state the Islamic principles by his rational evidences in his debates and spread those among others.

സംക്ഷിപ്തം

ഹിജ്റാബ്ദം നാലാം നൂറ്റാണ്ടിൽ ജീവിച്ച പ്രമുഖ പണ്ഡിതൻ ഖാളി അബൂബക്കർ മുഹമ്മദ് ഇബ്നു അൽ ത്വയ്യിബ് അൽ ബാഖില്ലാനി ക്രിസ്ത്യൻ ആചാര്യരുമായി നടത്തിയ സംവാദങ്ങൾ, അവയുടെ ശൈലി, മതതാരതമ്യ പഠനത്തിലെ അദ്ദേഹത്തിന്റെ മികച്ച സംഭാവനകൾ എന്നിവയെക്കുറിച്ചാണ് ഈ പഠനം. ഇൽമുൽ കലാമിൽ പ്രസിദ്ധിയാർജ്ജിച്ച അദ്ദേഹം മതതാരതമ്യ പഠനത്തിൽ നടത്തിയ സംഭാവനകൾ ഏറെ ശ്രദ്ധേയമാണ്. അക്കാലത്ത് അഗാധമായ സാമൂഹിക-രാഷ്ട്രീയ ബന്ധം ക്രിസ്ത്യാനികൾക്കും മുസ്‌ലിംകൾക്കുമിടയിൽ നിലനിന്നിരുന്നു. ക്രൈസ്തവ ഇസ്‌ലാമിക തർക്ക വിഷയങ്ങളിലൂന്നിയ സംവാഗദങ്ങൾ ക്രിസ്ത്യാനികൾക്കും ബാഖില്ലാനി ഇമാമിനുമിടയിൽ സംഘടിപ്പിക്കപ്പെട്ടിരുന്നു. മതതാരതമ്യ പഠനത്തിൽ അദ്ദേഹത്തിന്റെ സംഭാവനകൾ വിശദീകരിക്കുകയും അദ്ദേഹത്തിനും റോം രാജാവിനും മറ്റു ക്രിസ്ത്യൻ പാതിരിമാർക്കുമിടയിൽ നടന്ന സംവാദ ഭാഗങ്ങൾ മുഴുവൻ ഒരുമിച്ചുകൂട്ടുകയും ചെയ്യുന്ന ഒരു പഠനവും ഇതുവരെ ലഭ്യമായിട്ടില്ല. ഇത്തരത്തിലുള്ള സംഭാവനകൾ അന്വേഷിക്കുന്നതോടൊപ്പം അദ്ദേഹത്തിന്റെ സംവാദങ്ങൾ വിവിധ ചരിത്ര ഗ്രന്ഥങ്ങളിൽ നിന്ന് ശേഖരിക്കുകയും അവയുടെ രീതിശാസ്ത്രം വിശകലനം ചെയ്യുകയും ചെയ്യുന്നു ഈ പഠനം. ക്രിസ്തുമതക്കാരുമായും മറ്റും നടത്തിയ സംവാദങ്ങളിലൂടെ ഇസ്‌ലാമികാധ്യാപനങ്ങൾ മറ്റുള്ളവർക്ക് ബുദ്ധിപൂർവ്വം സമർത്ഥിച്ച് പകർന്നുനൽകാൻ അദ്ദേഹത്തിന് സാധിച്ചിട്ടുണ്ടെന്ന് ഈ പഠനം സംഗ്രഹിക്കുന്നു.

صفحة القبول

بموجب هذا أشهد أني قرأت هذه الأطروحة وأشرفت عليها، وهذه الأطروحة في رأيي تطابق مع المعايير المقبولة للعرض العلمي تامة الأهمية والجيادة، جديرة لكونها أطروحة لنيل شهادة الماجستير في الإسلاميات والعلوم الإنسانية (قسم الدعوة ومقارنة الأديان)

الأستاذ علي المولوي الإرنغالوري
المشرف

أشهد أن هذه الأطروحة قد قدمت إلى قسم الدعوة ومقارنة الأديان للاعتبار لنيل شهادة الماجستير في الإسلاميات والعلوم الإنسانية (قسم الدعوة ومقارنة الأديان)

الأستاذ محمد رئيس الهدوي
قسم الدعوة ومقارنة الأديان

صفحة التصريح

أنا محمد علي حيدر- رقم الالتحاق: ١٣٦٩٧ أصرح بأن هذه الأطروحة بعنوان "مساهمات الإمام الباقلاني في مقارنة الأديان مع التركيز الخاص على مناظراته مع النصارى" التي أقدمها إلى **قسم الدعوة ومقارنة الأديان** بجامعة دار الهدى الإسلامية لنيل **شهادة الماجستير في الإسلاميات والعلوم الإنسانية** هي نسخة أصلية مستقلة لم يسبق تقديمها لأية شهادة أو منحة جامعية أو نحوها من الأغراض.

اسم الباحث: محمد علي حيدر بن محمد عبد الرحمن الباقوي

العنوان البريدي:Thazhathethil(H)

Ezhur, Tirur(PO)

Malappuram(Dt)

676 101

رقم التلفون: +٩١٨٠٨٦١٧٥٠٦٣

البريد الإلكتروني: mohamedalihyder1@gmail.com

جامعة دار الهدى الإسلامية، كيرالا، الهند

إعلان حقوق الطبع والنشر والتأكيد على الاستخدام العادل لبحث غير منشور

مساهمات الإمام الباقلاني في مقارنة الأديان مع التركيز الخاص على مناظراته

مع النصارى

الباحث: محمد علي حيدر بن محمد عبد الرحمن الباقوي

التاريخ:

التوقيع:

إلى الوالدين

والأساتيذ

والإخوان والخلان

صفحة الشكر والتقدير

إني أقدم الحمد والشكر لله الذي منّ عليّ بكرمه وفضله وإحسانه، ووفقني لإنجاز هذا البحث المتواضع، وأذكر وأشكر من صميم قلبي كلّ من أعانني في إعداد هذا البحث، وإني أهدى جزيل الشكر للأستاذ علي المولوي الإرنغالوري الذي أرشدني ووعظني ونصرني في تهيّإ هذا البحث ومنحني علومه وأفكاره القيمة المتعلقة بموضوعي المبحوث وأذكر رئيس قسم الدعوة ومقارنة الأديان الأستاذ محمد رئيس الهدوي والمحاضر الأستاذ جعفر الهدوي وأشكر أيضا الأستاذ محمد سهيل الهدوي والأخ محمد أنيس الهدوي الذين نصراني بجمع الموارد والمصادر لهذا البحث. ولا أنسى جيمع الأساتذة الأخرى الذين هم اعتماد أموري، وكل من أعانني في البحث من الطلّاب والأصدقاء والأحباء، ولا أنسى أي واحد من عظماء جامعة دار الهدى الإسلامية من مؤسسيه ومدبريه، وما أزال أذكر والدي وإخواني الذين تابعوني في إتمام هذا البحث بالأدعية المخلصة. جزاهم الله تعالى أحسن الثواب.

المحتويات

الباب الأول: خطة البحث

مقدمة البحث

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد

فإن الإسلام قد شجع جميعا من العلوم والفنون وأنواعها كلها حتى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك شجعها القرآن الكريم أيضا. ومن هذه العلوم يعد علم مقارنة الأديان ولكن لم يتطور علما خاصا في الإسلام.

ولكن في آخر الخلافة الأموية وأول الخلافة العباسية دخل الإسلام إلى العلوم والفنون الجديدة مثل علم التفسير وعلم الحديث وعلم الفقه وعلم الأصول وعلم الكلام وما إليها. وأيضا قد تطور علم مقارنة الأديان بارتقاء الإسلام في العلوم والفنون.

تعلم العلماء المسلمون في عصر العباسية عن الأديان الأخرى مثل المسيحية والنصرانية وكذلك عن الفرق اللادينية والملحدين وغيرها من الفرق حيث إن المسلمين احتاجوا إلى هذه العلوم لنشر الإسلام إلى غير المسلمين. وكان من حاجاتهم علم بأحوال غير المسلمين ودياناتهم وما إليها.

وكذلك عديد من العلماء احتاجوا إلى المناظرات مع غير المسلمين لإبطال عقائدهم وتقرير العقائد الإسلامية بينهم فتطور علم المناظرة أيضا. ومن الجدير بالذكر أن الملوك

وخلفاء المسلمين العباسيين والبويهيين أرسلوا عديدا من العلماء إلى الملوك والسياطرة المسيحيين وغيرهم.

فالإمام الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب يعد من هؤلاء العلماء العباقرة الذين جهدوا نفوسهم لإعلاء كلمة الإسلام بين الأمة حيث إنه صنف عديدا من الكتب في مقارنة الأديان مثل التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والخوارج والمعتزلة وكتابه الإبانة عن إبطال أهل الكفر والضلال يبين فيه عن معتقدات النصارى والمسيحيين وغيرهم.

واتصل الإمام الباقلاني أثناء رحلاته العلمية بعضد الدولة البويهي فعظمت منزلته لديه وولي له القضاء وبعثه إلى ملك الروم رسولا ومناظرا لما عرف عنه من الدهاء والذكاء والفطنة وحدة العاقلة ووسع العلم وجرت مناظرات بين الإمام الباقلاني وملك الروم والبطاريك النصرانية.

فهذا البحث يبحث عن حياة الإمام الباقلاني ومساهماته في مقارنة الأديان مع جمع هذه المناظرات التي جرت بين الإمام الباقلاني وملك الروم ومن معه من البطاريك والعلماء النصرانيين.

إشكالية البحث

هذا بحث عن إسهامات الإمام الباقلاني في مقارنة الأديان مع التركيز على مناظراته مع النصارى. فاختار الباحث هذا الموضوع لأنه عجب بإسهامات الإمام الباقلاني في مقارنة الأديان مع أنه عالم مشهور في علم الكلام والعقيدة والفلسفة ومن العجب أيضا كلماته وأجوبته مع النصارى في المناظرات. ولم يجد الباحث أي مصنف يبحث عن هذا الموضوع ويجمع هذه المناظرات كلها حيث إنها متفرقة في كتب التاريخ وتراجم الأعلام.

أسئلة البحث

١. من هو الإمام الباقلاني؟

٢. ما هي إسهاماته في مقارنة الأديان؟

٣. ما هو تاريخ مناظراته مع النصارى وكيف كان اعتراتضاته عليهم وجوابه لاعتراضاتهم

أهداف البحث

١. بيان حياة الإمام الباقلاني وترجمته.

٢. بيان إسهامات الإمام الباقلاني في مقارنة الأديان.

٣. جمع مناظرات الإمام الباقلاني مع النصارى وبيان كيفيته في الاعتراضات والجواب معهم.

حدود البحث

هناك بعض الحدود عندما يبحث عن منظرات الإمام الباقلاني وإسهاماته في مقارنة الأديان. فالباحث يدخل أولا إلى بيان حياته ولادته ونشأته وأسرته ورحلاته العلمية وأساتذته وتلامذته ومصنفاته مع بعض آراءه الكلامية ووفاته ثم يدخل إلى بحث إسهاماته في مقارنة الأديان من المصنفات وغيرها ثم يجمع جميع مقاطع مناظراته مع النصارى الموجودة في كتب التاريخ مع مقدمة عن فن المناظرة ومقدمة عن مناظرته التي تشتمل سببها وترجمة ملك الروم وغيرها ثم يبين مناظراته تحليليا منهجيا.

أهمية البحث

يعتقد الباحث أن هذا البحث أجدر أن يبحث عنه لأن الإمام الباقلاني من حيث إنه كلامي مشهور قد ذكر في علماء المسلمين الذين جهدوا في مجال علم مقارنة الأديان أيضا

ولكن لم يعرف أي بحث عن مساهماته في مقارنة الأديان ولم يوجد جامع مناظراته كليا مع التحقيق والبيان لمناهجه في مناظراته مع النصارى.

الدراسات السابقة

على جهود الباحث لم يطلع على أي دراسة مخصوصة في هذا البحث إلا كتبا تركزت على بعض أجزاء هذا الموضوع:

فالقاضي عياض قد ذكر عن الإمام الباقلاني وعن بعض مقاطعات مناظراته مع النصارى في كتابه **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** حيث إن هذا الكتاب إنما هو طفقات أعلام المذهب المالكي وليس بكتاب عن الإمام الباقلاني. فلذا انحصر هذا الكتاب على بعض نقط من حياة الباقلاني وبعض مقاطعات مناظراته مع النصارى أمام ملك الروم.

وكذلك السكوني في كتابه **عيون المناظرات** ما ذكر شيئا عن الإمام الباقلاني إلا أنه أتى ببعض من مقاطعات الإمام الباقلاني أمام الملك الرومي. وهذا الكتاب إنما هو كتاب المناظرات حيث إن السكوني قد جمع ما حدث في العالم من المناظرات والمجالسات.

وأما ابن الجوزي في كتابه **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** والخطيب في كتابه **تاريخ بغداد** ذكرا نبذة من حياة الإمام الباقلاني وبعض مقاطعات من مناظراته.

وابن الأثير في **الكامل في التاريخ** وابن كثير في **البداية والنهاية** والذهبي في **سير أعلام النبلاء** وابن عساكر في **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري** وابن خلكان في **وفيات الأعيان** وغيرها من كتب التراجم قد ترجموا حياة الإمام الباقلاني قطعات صغيرة.

ووجد الباحث كتابا آخر أيضا يسمى **المناظرة العجيبة** للخضيري. يذكر في هذا الكتاب ترجمة الإمام الباقلاني مختصرا وترجمة الخليفة عضد الدولة وسبب مناظرة الباقلاني لملك الروم مع جمع المقاطعات من مناظراته مع النصارى أمام ملك الروم.

أما IBISH YUSUF يوسف إيبش في مقالته LIFE AND WORKS OF AL BAQILLANI(حياة الإمام الباقلاني ومصنفاته)يذكر عن حياة الإمام الباقلاني وجل مصنفاته القيمة ولكن يوسف أيبش لم يدخل إلى مساهمات الإمام الباقلاني في مجال مقارنة الأديان ومناظراته مع النصارى.

ومن الجدير بالذكر في هذا المجال أن الإمام الباقلاني نفسه قد صنف كتابا عن ما وقع بينه وبين النصارى من المناظرات يسمى **المسائل القسطنطينية**. وهذا الكتاب يحتوي ما جرت بين الإمام الباقلاني وملك الروم وبطاريك النصارى من المناظرات والمجالسات ولكن هذا الكتاب ليس بموجود حتى الآن مطبوعة أو مخطوطة.

ولكن هذه الكتب لم يصرح فيها مناظرات الإمام الباقلاني كلها كليا ولم يبين فيها منهج الإمام الباقلاني في المناظرات خلاف النصارى. وأما كتابه المسائل القسطنطينية لم يوجد مخطوطا ولا مطبوعا في العالم البحثي والعلمي.

منهجية البحث

هذا البحث يجري على منهج خاص. فالباحث يدرس معظم الكتب التاريخية لنيل المقاطعات التي تذكر مناظرات الإمام الباقلاني مع ملك الروم وبطاريك النصارى. ويبحث أيضا كتب الإمام الباقلاني نفسه لينال المدركات الأولية ويدخل إلى تحقيقات بعض العلماء لكتب الإمام الباقلاني حيث تبين ترجمته.

الباب الثاني: حياة الإمام القاضي أبي بكر الباقلاني

أكثر المصادر على أنه أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني[1] فاسمه محمد وكنيته أبو بكر واسم أبيه الطيب واسم جده محمد واسم أبي جده جعفر وجد جده القاسم ولقبه الباقلاني وإن كان كثير منهم كالخطيب البغدادي واليافعي والسمعاني وابن عساكر وغيرهم اكتفوا بذكر اسمه واسم أبيه واسم جده ولم يتجاوزوا أكثر من ذلك فذكروا أنه محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر الباقلاني القاضي المعروف بابن الباقلاني [2] ولكن هؤلاء المترجمين جميعا لم يختلفوا في هذا الاسم الثلاثي أعني اسمه محمد واسم أبيه واسم جده.

الفصل الأول: ولادته ونشأته وثقافته

المبحث الأول: ولادته ونشأته

---

[1] ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. (بيروت: دار صادر، د-ت). ج ٤ ص ٢٦٩, الأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف. **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. (مصر: المؤسسة المصرية العامة، د-ت.) ج٤ ص٢٣٤, عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. (دمشق: دار ابن كثير، د-ت.) ج٣ ص١٦٨.

[2] الخطيب البغدادي. **تاريخ بغداد**. (بيروت: دار الكتب العلمية، د-ت.) ج٥، ص٣٧٩, اليافعي، الإمام أبو محمد عبد الله بن أسعد. **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**. (بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ الموافقة سنة 1997هـ) ج٣، ص٦, السمعاني، الإمام أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي. **الأنساب**. (القاهرة، مصر: مكتبة ابن تيمية، ١٩٨٠م.) ٦٢.

ولد الباقلاني بالبصرة ونشأ فيها وتلقى العلم على علماءها ثم رحل إلى بغداد فأخذ عن علماءها ثم اتخذها دارا لإقامته حتى قضى نحبه فيها. يقول الزركلي هو قاضي من كبار علماء الكلام انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة ولد في بصرة وسكن في بغداد[٣] وهذا صريح في أن ولادة الباقلاني كانت في مدينة البصرة.

المطلب الأول: أسرته

أما والده فيبدو أنه لم يكن من مشاهير الرجال ولم يكن من أسرة عريقة متنعمة تتمتع بالجاه والنفوذ ويبدو أنه كان من عامة الشعب فلم يذكر عنه إلا أنه الطيب الباقلاني وأنه كان يبيع الباقلا فلذا نسب إليه.

وأما أولاده فمنهم الحسن وقد ذكر كل من المؤرخين الخطيب البغدادي وابن خلكان والقاضي عياض أنه لما مات أبو بكر الباقلاني صلى عليه ابنه الحسن[٤] وكذلك جاء في ختام نسخة إعجاز القرآن: "هذا ما كتبه المؤلف لخزانة كتب عضد الدولة وطالع فيه الحسن ابن المؤلف سنة تسع وتسعين وثلاثمائة"[٥] وكان ابنه الحسن شابا مرجوا فأخذته المنية بعد أبيه. ولم يوجد أي خبر عن غيره من أبناءه.

المطلب الثاني: لقبه

يقول ابن خلكان إن الباقلاني بفتح الباء الموحدة وبعد الألف قاف مكسورة ثم لام ألف بعدها نون وهذه النسبة إلى الباقلاء وفيه لغتان: من شدد اللام قصر الألف ومن خففها مدها فقال باقلاء وهذه النسبة شاذة لأجل زيادة النون في آخرها وهو نظير قول العرب في

---

[٣] الزركلي، خير الدين الزركلي. **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من الأعراب والمستعربين والمستشرقين**. (بيروت، لبنان: دار العلم للملايين، د-ت.) ج٧، ص٤٦.

[٤] تاريخ بغداد ج٥، ص٣٧٩, وفيات الأعيان ج٤، ص٢٦٩.

[٥] مقدمة إعجاز القرآن ١٠٧.

النسبة إلى صنعاء صنعاني وإلى بهراء بهراني وقد أنكر الحريري في كتاب درة الغواص هذه النسبة وقال: من قصر الباقلى قال في النسبة إليه باقلي ومن مد قال في النسبة إليه باقلاوي وباقلائي ولا يقاس على بهراء وصنعاء لأن ذلك شاذ لا يعاج إليه[٦] ولكن السمعاني لم يذكر النسبة الأولى.[٧]

المبحث الثاني: فضله على العلماء

قال أبو عبد الله الصيرفي: كان صلاح القاضي أكثر من علمه، وما نفع الله هذه الأمة بكتبه، وبثها فيهم إلا بحسن نيته واحتسابه بذلك. قال: وكان يدر نهاره وأكثر ليله وذكر من فضله كثيراً.

وحكى أبو بكر الخطيب: كان ورد القاضي كل ليلة عشرين ترويحة ما ترك ذلك في حضر ولا سفر وكان كل ليلة إذا صلى العشاء وقضى ورده وضع الدواة بين يديه وكتب خمساً وثلاثين ورقة تصنيفاً من حفظه[٨]. وكان يذكر أن الكتابة بالمداد أسهل عليه من الكتابة بالحبر. فإذا صلى الفجر دفع إلى بعض أصحابه ما صنفه في ليلته وأمره بقراءته عليه. وأملى عليه الزيادات فيه. قال القاضي أبو عبيد الله البيضاوي: رأيت في المنام: كأني دخلت مسجدي الذي أدرس فيه، فرأيت رجلاً جالساً في المحراب وآخر يقرأ عليه. فقيل لي أما الجالس في المحراب فرسول الله صلى الله عليه وسلم وأما القارئ: فأبو بكر الأشعري يدرس عليه الشريعة. قال الميورقي: حسبت تواليف القاضي وإملاءاته فسمت على أيام عمره من مولده إلى موته. فوجد أنه يقع لكل يوم منه عشرون.

---

[٦] وفيات الأعيان ج٤، ص٢٦٩.

[٧] الأنساب ٦٢.

[٨] القاضي عياض، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي. **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**. تحقيق محمد سالم هاشم. (بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، 1418هـ الموافقة سنة 1998م). ج١، ص١٤٨.

روى الخطيب البغدادي أنه كان أعرف الناس بعلم الكلام وأحسنهم خاطرا وأجودهم لسانا وأوضحهم بيانا وأصحهم عبارة وله التصانيف الكثيرة المنتشرة في الرد على المختلفين من الرافضة والمعتزلة والجهمية والخوارج وغيرهم.[٩] ويروى أنه كان يهم أن يختصر ما يصنفه فلا يقدر على ذلك لسعة علمه وكثرة حفظه وما صنف أحد خلافا إلا احتاج أن يطالع كتب المخالفين غير القاضي أبي بكر فإن جميع ما كان يذكره من خلاف العلماء كان يصنفه من حفظه.[١٠]

المبحث الثالث: شخصية الباقلاني

عرف الباقلاني بأنه كان رجلا عالي الهمة واسع الاطلاع قوي الذاكرة سريع الخاطر حاضر البديعة متقد الذكاء وكانت له شخصية فذة ومهابة عظيمة لدى أقرانه ومعاصريه يدل على ذلك ما أورده القاضي عياض من أن أبا ذر الهروي قال: " كان سبب أخذي عن القاضي أبي بكر ومعرفتي بقدره أني كنت مرة ماشياً ببغداد مع أبي الحسن الدارقطني إذ لقيت شابا فأقبل الشيخ أبو الحسن عليه وعظمه ودعا له. فقلت للشيخ: من هذا الذي تصنع به هذا؟ فقال لي: هذا أبو بكر ابن الطيب نصر السنّة وقمع المعتزلة وأثنى عليه. قال أبو ذر: فاختلفت إليه وأخذت عنه من يومئذ."[١١]

ويروى أن الهروي سئل: من أين تمذهبت بمذهب مالك ورأي الأشعري مع أنك هروي فقال: قدمت بغداد وكنت ماشيًا مع الدارقطني فلقينا أبو بكر بن الطيب فلزمه الدارقطني بعدما قبل وجهه وعينه فلما افترقا قلت من هذا قال: إمام المسلمين والذاب عن الدين القاضي أبو بكر فمن ذلك الوقت ترددت عليه وتمذهبت بمذهبه.

---

[٩] تاريخ بغداد ج٥، ص٣٧٩.

[١٠] التبيين ١٢٠,٢١٩.

[١١] ترتيب المدارك وتقريب المسالك ج١، ص٤٨١.

وعن فطانته وسعة علومه يروي ابن خلكان صاحب وفيات الأعيان أنه جرى يوما بينه وبين أبي سعيد الهاروني مناظرة فأكثر القاضي أبو بكر الكلام ووسع العبارة وزاد في الإسهاب ثم التفت إلى الحاضرين وقال: اشهدوا علي أنه إن أعاد ما قلت لا غير لم أطالبه بالجواب فقال الهاروني: اشهدوا على أنه إن أعاد كلام نفسه سلمت له ما قال.[١٢]

وقال فيه الذهبي في السير ما نصه: "وسمعت علي بن محمد الحربي يقول: جميع ما كان يذكر أبو بكر بن الباقلاني من الخلاف بين الناس صنفه من حفظه، وما صنف أحد خلافًا إلا احتاج إلى أن يطالع كتب المخالفين سوى ابن الباقلاني."[١٣]

ومن المعلوم أنه رغم تمتعه بالقضاء في الدولة البويهية لم يكن مخالطا لرجال الدولة يغشي مجالسهم أو ينادمهم بل كان واقفا حياته من أجل العقيدة والدفاع عنها ولم يعرف عنه كلل منذ بدأ التدريس والتأليف حتى توفي.[١٤]

وكان القاضي الباقلاني قوي الذاكرة ومما يدل على ذلك ما روي أن كل مصنفي بغداد كانوا إذا صنفوا ينقلون من كتب الناس إلى تصانيفهم سوى القاضي أبي بكر فإن صدره يحوي علمه وعلم الناس[١٥] وكان حاضر البديهة سريع الجواب وذلك يظهر مما حكي من أن ابن المعلم[١٦] شيخ الرافضة ومتكلمها حضر بعض مجالس النظر مع أصحابه له إذ القاضي الباقلاني فالتفت ابن المعلم إلى أصحابه وقال: قد جاءكم الشيطان فسمع القاضي مع بعده عن القوم كلامهم فلما جلس قال لابن المعلم وأصحابه: قال الله تعالى (ألم تر أنا

---

[١٢] وفيات الأعيان ج٤، ص٢٦٩.

[١٣] الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد عثمان. **سير أعلام النبلاء**. (مؤسسة الرسالة، د-ت.) ج١٧، ص١٩١.

[١٤] الدكتور محمد رمضان عبد الله. **الباقلاني وآراءه الكلامية**. (بغداد: مطبعة الأمة،1986 م.) ١٤٨.

[١٥] تاريخ بغداد للحافظ الخطيب البغدادي ج٥، ص٣٨٠.

[١٦] هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن سعيد البغدادي المعروف عند الشيعة بالشيخ المفيد وعند غيرهم بابن المعلم أو أبو المؤدب ولد عام ٣٣٦هـ وتوفي عام ٤١٣هـ, تاريخ بغداد ج٥، ص٣٧٩, روضات الجنان للخوانساري ٢٤.

أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا)[١٧] أي إن كنت شيطانا فأنتم كفار وقد أرسلت إليكم.[١٨]

المبحث الرابع: رحلاته

عرف أن القاضي أبا بكر الباقلاني ولد في البصرة وتعلم وسكن في بغداد راحلا إليها في صغر سنه وجعلها مسكنه. وتشير كتب التراجم إلى أنه انتقل إلى شيراز على رأي السلطان البويهي عضد الدولة لما أنه كان يحب العلماء حيث قال الباقلاني نفسه: "فخرجت مع الرسول في البحر نحو شيراز."[١٩]

ومن المعلوم أيضا أن القاضي رحل إلى الروم كما أرشده السلطان عضد الدولة للمناظرات مع النصارى أمام ملكهم النصراني.[٢٠] وجرت بينهم مناظرات عديدة كما سيشير إليها الباحث في الباب الثالث.

الفصل الثاني: شيوخه وتلاميذه ومصنفاته

المبحث الأول: شيوخه

من شيوخ الباقلاني من تلقى العلم عن الإمام أبي الحسن الأشعري وبذلك يمكن اعتباره ضمن الطبقة الثانية من طبقات الأشاعرة ومن هؤلاء الشيوخ:

١. الدارقطني

---

[١٧] سورة مريم ٨٣.

[١٨] **تاريخ بغداد** للخطيب البغدادي ج٥، ص٣٧٩, **الأنساب** للسمعاني ٦٢, **مرآة الجنان** لليافعي ج٣، ص٦.

[١٩] ترجمة القاضي عياض للبافلاني الملحقة بكتاب التمهيد, **التبيين** لابن عساكر ١١٩-١٢٠, **الكامل** لابن الأثير ج٩، ص٦.

[٢٠] **الباقلاني وآراءه الكلامية** ١٦٠.

٢. أبي عبد الله محمد بن أحمد ابن مجاهد الطائي صاحب الأشعري: قدم من البصرة سكن بغداد كان فقيها حافظا متقنا ذكر السبكي أن الباقلاني تتلمذ عليه وعلى الباهلي إلا أنه كان أخص بابن مجاهد. أخذ القاضي عنه علم الكلام وعلم الأصول. [٢١]

٣. أبو الحسن الباهلي المتوفى سنة ٣٧٠هـ: صاحب أبي الحسن الأشعري قال ابن عساكر إنه كان إماميا في الأول بل كان رئيسا مقدما عند الطائفة الإمامية فانتقل عن مذهبهم بسبب مناظرة جرت له مع الشيخ أبي الحسن الأشعري رحمه الله ألزمه فيها الحجة فبان له الخطأ فيما كان عليه فترك مذهب الإمامية ونشر علم الأشعري بالبصرة واستفاد منه خلق كثير. [٢٢]

٤. أحمد بن جعفر القطيعي (٢٧٤هـ - ٣٦٨هـ): هو أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك كان يسكن قطيعة الدقيق في بغداد وإليها نسب وهو راوي مسند الإمام أحمد روى عنه من المتقدمين الدارقطني وأبو حفص بن شاهين ومن دونهم لقبه البغدادي بالناقد وقد أخذ عنه الباقلاني الحديث. [٢٣]

٥. أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري (٢٩٣هـ -٣٨٢هـ): أحد الأئمة في الأدب والحفظ وصاحب أخبار ونوادر وقد أخذ عنه القاضي الباقلاني مسائل في النقد والبلاغة. [٢٤]

٦. أبو سهل الصعلوكي

---

[٢١] **طبقات السبكي** ج٢، ص٢٥٦, **شذرات الذهب** ج٣، ص٧٤.

[٢٢] ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي. **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**. (بيروت: دار الكتاب العربي، 1404هـ.) ١٢٧-١٢٨.

[٢٣] **تاريخ بغداد** ج٥، ص٣٧٩.

[٢٤] **شذرات الذهب** ج٢، ص١٠٢, **وفيات الأعيان** ج٤، ص١٥٦.

٧. أبو بكر الأبهري المتوفى سنة ٣٧٥هـ: محمد بن عبد الله شيخ المالكية في عصره له الفقه الجيد وعلو الإسناد ولم يعط أحد من العلم والرياسة ما أعطي الأبهري في عصره من الموافقين والمخالفين.[٢٥] أخذ منه الإمام الباقلاني الفقه.[٢٦]

٨. أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي المتوفى سنة ٣٧١هـ

٩. أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المتوفى سنة ٣٨٦هـ: الفقيه إمام المالكية في وقته وجامع مذهب مالك وشارح أقواله كثير الحفظ والرواية الشاعر فصيح القلم أخذ عنه الباقلاني الفقه توفي ودفن بداره بالقيروان.[٢٧]

١٠. أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن أيوب بن ماسي (٢٧٤هـ - ٣٦٩هـ): سمع منه القاضي الحديث.

١١. أبو أحمد الحسين بن علي النيسابوري (٢٩٣هـ - ٣٧٥هـ): قال الحاكم عنه صحبته حضرا وسفرا نحو ثلاثين سنة فما رأيته ترك قيام الليل وكان يقرأ كل ليلة سبعا وسمع منه الحديث أيضا.[٢٨]

١٢. ابن بهته محمد بن عمر البزاز المتوفى سنة ٣٧٤هـ

١٣. أبو الحسين بن سمعون: محمد بن أحمد بن إسماعيل البغدادي (٣٠٠هـ - ٣٨٧هـ): الواعظ صاحب المقامات كان وحيد الدهر في الكلام على الخواطر حكى ابن عساكر أن الباقلاني والاسفراييني كانا يأتيانه فيقبلان يده ويجلانه وكان الباقلاني يقول ربما خفي على من كلامه بعض الشيء لدقته.[٢٩]

---

[٢٥] ابن فرحون. **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب.** (د-ط، د-ت.) ج٢، ص٢٠٦.

[٢٦] **ترتيب المدارك وتقريب المسالك**

[٢٧] **الديباج المذهب** ج١، ص٤٢٧.

[٢٨] **الشذرات** ج٣، ص٨٤, **تاريخ بغداد** ج٥، ص٣٧٩.

[٢٩] **الشذرات** ج٣، ص١٢٤, **تبيين كذب المفتري** ٢٠٠-٢٠١.

المبحث الثاني: تلاميذه

كان لتعليمة مركزا عظيما في البصرة المعروف بجامع المنصور. قال ابن عساكر: وكان الباقلاني حصنا من حصون المسلمين وما سر أهل البدعة بشيء كسرورهم بموته رحمه الله إلا أنه خلف بعده من تلاميذه جماعة كثيرة تفرقوا في البلاد أكثرهم بالعراق وخراسان ونزل منهم إلى المغرب رجلان أحدهما أبو عبد الله الأزدي رضي الله عنه وبه انتفع أهل القيروان وكان رجلا ذا علم وأدب والثاني أبو طاهر البغدادي الناسك الواعظ وكان رجلا صالحا شيخا كبيرا[٣٠].

تكاد تجمع الكتب التي ترجمت للقاضي الباقلاني على أن من تتلمذوا على يديه وسمعوا عنه عدد كثير معظمهم بالعراق ومنهم من انتشر في النواحي الشرقية القريبة منها والبعيدة عنها ومنهم من ارتحل جنوبا نحو بلاد الشام والحجاز ومنهم من نقل مذهبه إلى بلاد المغرب بإفريقية وبالأندلس وسواهما ومن هؤلاء التلاميذ:

١. أبو ذر عبد بن أحمد الهروي المالكي الأشعري(٣٥٥هـ - ٤٣٤هـ): الإمام المحدث المالكي الأشعري قال ابن العماد الحنبلي عنه: كان ثقة متقنا دينا عابدا بصيرا بالفقه والأصول أخذ علم الكلام عن الباقلاني[٣١] أخذ طريقة الباقلاني وأدخلها إلى الحرم وعنه أخذ أهل الحرم.

٢. القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن نصر البغدادي المالكي (٣٦٢هـ - ٤٢٢هـ): الحافظ الشاعر الماهر الأديب أخذ عن أبي بكر الأبهري وحدث عنه وتفقه عن كبار أصحابه كابن القصار وابن الجلاب والباقلاني.[٣٢] وتعلم من الباقلاني أصول الفقه والدين.

---

[٣٠] تبيين كذب المفتري ١٢٠-١٢١.

[٣١] شذرات الذهب ج٣، ص٢٥٤.

[٣٢] ترتيب المدارك ج٤، ص٧٠٢.

٣. أبو عبد الله الحسين بن حاتم الأزدي: هو أحد من درس على الباقلاني أصول الفقه والدين ومن روى عن الباقلاني وصفه لمناظراته في بلاط الروم. أقام بدمشق مدة ثم توجه إلى المغرب فنشر العلم بتلك الناحية ومذهب الباقلاني واستوطن القيروان إلى أن مات بها رحمه الله تعالى.[٣٣]

٤. أبو الطاهر الواعظ محمد بن علي المعروف بابن الأنباري (٣٧٥هـ- ٤٤٧هـ) أخذ عن الإمام الباقلاني أصول الدين والفقه.[٣٤] ونشر مذهب الباقلاني في المغرب أيضا.

٥. أبو عمران الفاسي هو من أهل المغرب رحل إليه مع أبي عمرو بن سعد وأخذ أصول الفقه والدين. وقال: رحلت الى بغداد وكنت قد تفقهت بالمغرب والأندلس عند أبي الحسن القابسي وأبي محمد الأصيلي وكانا عالمين بالأصول. فلما حضرت مجلس القاضي أبي بكر ورأيت كلامه في الأصول والفقه والمؤالف والمخالف حقرت نفسي وقلت: لا أعلم من العلم شيئا. ورجعت عنده كالمبتدئ.[٣٥]

٦. أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن عثمان الأزهري الصيرفي (٣٥٥هـ - ٤٣٥هـ): الحافظ المحدث عنى بالحديث وروى عن القطيعي ثم أخذ عن الباقلاني.[٣٦]

٧. أبو الفضل عبيد الله بن أحمد بن علي المقري (٣٧٠هـ - ٤٥١هـ)[٣٧]

---

[٣٣] تبيين كذب المفتري ١٢٠,٢١٦.

[٣٤] ترتيب المدراك وتقريب المسالك

[٣٥] نفس المرجع.

[٣٦] الشذرات ج٣، ص٢٥٥.

[٣٧] التبيين ٢٢٢.

٨. أبو الفتح محمد بن أبي الفوارس الحنبلي (٣٣٨هـ - ٤١٢هـ): قال الخطيب البغدادي: كان ذا حفظ ومعرفة وأمانة مشهورا بالصلاح خرج للباقلاني وأخذ عنه.[٣٨]

٩. أبو عبد الله الحسين بن حاتم الأزدي المتوفى بالقيروان وهو أحد الذين رووا عن الباقلاني وصفه لمناظراته في مجلس ملك الروم. وقد قيل: أن أبا الحسن الأشعري لما كان يصلي في جامع دمشق تكلم فيه بعض الحشوية فكتب إلى القاضي أبي بكر محمد بن الطيب ابن الباقلاني يعرفه ذلك ويسأله أن يرسل إلى دمشق من أصحابه من يوضح لهم الحق بالحجة فبعث القاضي تلميذه أبا عبد الله الحسين بن حاتم الأزدي فعقد مجلس التذكير في جامع دمشق في حلقة أبي الحسن بن داود وذكر التوحيد ونزه المعبود ونفى عنه التشبيه والتحديد فخرج أهل دمشق من مجلسه يقولون أحد أحد وأقام أبو عبد الله الأزدي بدمشق مدة فنشر العلم بتلك الناحية واستوطن القيروان إلى أن مات بها رحمه الله تعالى.[٣٩]

١٠. صمصام الدولة أبو كاليجار مرزبان (٣٥٣هـ - ٣٨٨هـ): هو ابن عضد الدولة البويهي تتلمذ على الباقلاني على رأي أبيه وله ألف الباقلاني كتابه التمهيد.[٤٠]

١١. أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حجاج الغفجومي[٤١] (٣٦٥هـ - ٤٣٠هـ)

١٢. أبو الحسن علي بن محمد بن الحسن الحربي المالكي (٣٥٦هـ - ٤٣٧هـ): درس من الباقلاني الفقه وأصوله وأصول الدين.[٤٢]

---

[٣٨] تاريخ بغداد ج٥، ص٣٧٩.

[٣٩] تبيين كذب المفتري ص ٢١٦.

[٤٠] نفس المرجع ص ١٢٠.

[٤١] نسبة إلى غفجوم بطن من زناتة من البربر من المغرب.

١٣. أبو الحسن علي بن عيسى السكري الشاعر (٣٥٧هـ -٤١٢هـ): كان يحفظ القرآن والقراءات ومتقنا في الأدب هو الشاعر الذي استفرغ شعره في مدح الصحابة والرد على الرافضة والنقض على شعرائهم.[٤٣] قد صحب الباقلاني ودرس عليه الكلام ومدحه بقصيدة طويلة [٤٤]كما سيأتي في فصل الرثاء.

١٤. القاضي أبو جعفر محمد بن أحمد السناني الحنفي (٣٦١هـ - ٤٤٤هـ): العالم الأشعري الأصولي وكان له في داره مجلس نظر يحضره الفقهاء. مات بالموصل وهو على القضاء بها.[٤٥] أخذ عن الباقلاني أصول الفقه والدين.[٤٦]

١٥. أبو الحسن رافع بن نصر البغدادي المتوفى سنة ٤٤٧هـ[٤٧]

١٦. القاضي أبو محمد عبد الله بن محمد بن الأصبهاني المعروف بابن اللبان المتوفى سنة ٤٤٦هـ: قد صحب الإمام الباقلاني ودرس عليه كتاب المقدمات في أصول الديانات وكتاب أصول الفقه ودرس فقه الشافعي على أبي حامد الإسفراييني ومات بأصبهان.[٤٨]

١٧. أبو عبد الرحمان محمد بن الحسين بن موسى السلمي النيسابوري (٣٣٠هـ - ٤١٢هـ): الحافظ شيخ الصوفية كان علما بالتفسير والتاريخ والحديث وكان له

---

[٤٢]ترجمة القاضي عياض الملحقة بكتاب التمهيد ٢٤٤.

[٤٣]الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب. **إعجاز القرآن**. تحرير السيد أحمد صقر. (مصر: دار المعارف، ٢٠٠٩م.) ص٣٩.

[٤٤]تاريخ بغداد ج٥، ص٣٨١-٣٨٢.

[٤٥]تبين كذب المفتري ٢٥٩.

[٤٦]ترتيب المدارك وتقريب المسالك

[٤٧]مقدمة إعجاز القرآن للسيد أحمد صقر ٤٠.

[٤٨]نفس المرجع ٢٦١, شذرات الذهب ج٣، ص٢٧٤.

بنيسابور دويرة للصوفية[٤٩] وقد أخذ عن الباقلاني أثناء إقامته مع عضد الدولة بشيراز وقرأعليه كتاب اللمع للأشعري.[٥٠]

١٨. أبو محمد عبد الرحمان بن أبي نصر (٣٢٧هـ - ٤٢٠هـ): قال القاضي عياض: إنه تفقه عند القاضي الباقلاني وعلق عنه وحكى في كتابه ما شاهده من مناظراته في الفقه.[٥١]

١٩. أبو حاتم محمود بن الحسن الطبري المعروف بالقزويني: ولد بمدينة آمل وتوفي بها أيضا قدم بغداد ودرس على الباقلاني أصول الفقه كان حافظا للمذهب والخلاف والأصول والجدل.[٥٢]

٢٠. أبو بكر محمد بن الحسين الإسكافي: من روى عن الباقلاني خبر رحلة ابن خفيف الشيرازي إلى البصرة لسماع أبي الحسن الأشعري.[٥٣]

٢١. أبو علي الحسن بن شاذان (٣٣٩هـ - ٤٢٦هـ): كان حنفي المذهب في الفروع وأشعريا في الاعتقاد.[٥٤]

٢٢. أبو عمرو بن سعد: ذكر القاضي عياض أن أبا عمرو بن سعد وأبا عمران الفاسي من أهل المغرب رحلا إلى الباقلاني وأخذا عنه أصول الفقه والدين.[٥٥]

٢٣. ابن معتمر الرقي[٥٦]

---

[٤٩] الشذرات ج٣، ص١٩٦.

[٥٠] ترجمة القاضي عياض للباقلاني الملحقة بكتاب التمهيد ٣٥٠.

[٥١] نفس المرجع ٢٤٤.

[٥٢] تبيين كذب المفتري ٢٦٠.

[٥٣] نفس المرجع ٩٤, مقدمة إعجاز القرأن ٤١.

[٥٤] التبيين ٢٤٥.

[٥٥] ترجمة القاضي عياض للباقلاني الملحقة بكتاب التمهيد ٢٤٤.

[٥٦] منسوب إلى الرقة وهي مدينة مشهورة على الفرات معدودة في بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي. الباقلاني وآراءه الكلامية ١٩٥.

المبحث الثالث: مصنفاته

قد كان للإمام الباقلاني نصيب كامل في التصانيف إلى جانب اهتمامه بالمناظرات ومما يروى أنه كان من عادته أنه إذا صلى العشاء وقضى ورده وضع دواته بين يديه وكتب خمسا وثلاثين ورقة من تصنيفه فإذا صلى الفجر دفع إلى بعض أصحابه ما صنفه ليلته وأمره بقراءته عليه وأملى عليه من الزيادات ما يلوح له فيه.[٥٧]

قد صنف القاضي أبو بكر الباقلاني أكثر من خمسين كتابا ولكن لم يرد إلينا إلا عدد يسير فالقاضي عياض قد أشار بعضا من مؤلفاته القيمة في كتابه ترتيب المدارك وتقريب المسالك ناقلا إياها عن خط شيخه القاضي أبي علي الصدفي. فمن هذه المذكورات في ترجمة القاضي عياض ما تلي:

١. كتاب الإبانة عن إبطال أهل الكفر والضلالة
٢. كتاب كيفية الاستشهاد في الرد على أهل الجحد والعناد
٣. كتاب إكفار المتأولين وحكم الدار
٤. كتاب التعديل والتجوير
٥. كتاب التمهيد
٦. كتاب شرح اللمع[٥٨]
٧. كتاب الإمامة الكبيرة
٨. كتاب الإمامة الصغيرة
٩. كتاب شرح أدب الجدل
١٠. كتاب الأصول الكبير في الفقه
١١. كتاب الأصول الصغير

---

[٥٧] تاريخ بغداد ج٥، ص٣٨٠.

[٥٨] اللمع كتاب بأبي الحسن الأشعري.

١٢. كتاب مسائل الأصول
١٣. كتاب أمالي إجماع أهل المدينة
١٤. كتاب المسائل المنثورة والمجالسات
١٥. كتاب فضل الجهاد
١٦. كتاب الرد على المتناسخين
١٧. كتاب الحدود في الرد على أبي طاهر محمد بن عبد الله بن القاسم
١٨. كتاب الرد على المعتزلة فيما اشتبه عليهم من تأويل القرآن
١٩. كتاب المقدمات في أصول الديانات
٢٠. كتاب في أن المعدوم ليس بشيء
٢١. المجالسات المنثورة
٢٢. كتاب إمامة بني العباس
٢٣. كتاب في المعجزات
٢٤. كتاب المسائل القسطنطينية
٢٥. كتاب هداية المسترشدين والمقنع في معرفة أصول الدين
٢٦. كتاب أجوبة أهل فلسطين
٢٧. كتاب البغداديات
٢٨. كتاب النيسابوريات
٢٩. كتاب الجرجانيات
٣٠. كتاب مسائل سال عنها ابن عبد المؤمن
٣١. كتاب التقريب والإرشاد في أصول الفقه
٣٢. كتاب الإصبهانيات
٣٣. كتاب المقنع في أصول الفقه

٣٤. كتاب الانتصار لصحة نقل القرآن والرد على من نحله الفساد بزيادة أو نقصان

٣٥. كتاب دقائق الكلام والرد على من خالف الحق من الأوائل ومنتحلي الإسلام

٣٦. كتاب الدماء التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

٣٧. كتاب الكرامات

٣٨. تصرف العباد

٣٩. الفرق بين الخلق

٤٠. كتاب إعجاز القرآن

٤١. نقض الفنون للجاحظ

هذه الكتب المصنفة هي التي نقلها الإمام القاضي عياض من خط شيخه القاضي أبي علي الصدفي في كتابه ترتيب المدارك وتقريب المسالك.

٤٢. كتاب البيان عن فرائض الدين وشرائع الإسلام

٤٣. وصف ما يلزم من جرت عليه الأقلام من معرفة الأحكام

٤٤. مختصر التقريب والإرشاد الأصغر

٤٥. الأوسط

ومما لم يذكره القاضي عياض ما تلي:

٤٦. كتاب الإنصاف في أسباب الخلاف

٤٧. كتاب نقض النقض[٥٩]

٤٨. كتاب الإيجاز[٦٠]

---

[٥٩] ذكره الباقلاني نفسه في كتابه هداية المسترشدين وذكره الإسفراييني في كتابه التبصير وأشار إليه ابن تيمية في كتاب النبوات.

٤٩. كتاب الكسب[٦١]

٥٠. كتاب النقض الكبير[٦٢]

٥١. كتاب الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية[٦٣]

الفصل الثالث: مذهبه وعلومه وآراء العلماء فيه

المبحث الأول: مكانته في علم أصول الفقه

يقصر مكانة القاضي أبي بكر في الأصول قول الزركشي في مقدمة البحر المحيط في أصول الفقه أثناء بيانه للمراحل التي مر منها أصول الفقه: "وجاء من بعده أي الإمام الشافعي فبينوا وأوضحوا وبسطوا وشرحوا حتى جاء القاضيان: قاضي السنة أبو بكر بن الطيب وقاضي المعتزلة عبد الجبار فوسعا العبارات وفكا الإشارات وبينا الإجمال ورفعا الإشكال واقتفى الناس بآثارهم وساروا على لاهب نارهم فحرروا وقرروا وصوروا."[٦٤]

وقال القاضي عياض في ترتيب المدارك وتقريب المسالك: "قال أبو عمران: رحلت إلى بغداد وكنت قد تفقهت في المغرب والأندلس عند أبي الحسن القابسي وأبي محمد الأصيلي وكانا عالمين بالأصول فلما حضرت مجلس القاضي أبي بكر ورأيت كلامه في الأصول والفقه

---

[٦٠] ذكره أبو عذبة في كتابه الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية.

[٦١] ذكره الاسفراييني في التبصير.

[٦٢] أورده إمام الحرمين في الشامل.

[٦٣] ذكره الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات.

[٦٤] الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله. **البحر المحيط في أصول الفقه**. (لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.) ج١، ص٦.

والمؤالف والمخالف حقرت نفسي وقلت لا أعلم من العلم شيئا ورجعت عنده كالمبتدئ."[٦٥]
ولقبه الإمام الماوردي في إيضاح المحصول من برهان الأصول أيضا بإمام الأصوليين.[٦٦]

المبحث الثاني: عقيدته

لما كان رحمه الله متكلما أشعريا علمنا أنه كان يدافع عن عقيدة تنزيه الله عن المكان والحد أي الحجم والشبيه بدليل ما جاء في كتاب الإنصاف تحت عنوان مسألة في إحالة اتصاف الباري بسمات النقص في حقه جلت صفاته فقد قال ما نصه: "ويجب أن يُعلم أن كل ما يدل على الحدوث أو على سمة النقص فالرب تعالى يتقدس عنه، فمن ذلك أنه تعالى متقدس عن الاختصاص بالجهات والاتصاف بصفات المحدثات، وكذلك لا يوصف بالتحول والانتقال، ولا القيام ولا القعود، لقوله تعالى ليس كمثله شيء[٦٧]". ويقول في شأن الاستواء: "ونقول استواؤه لا يشبه استواء الخلق، ولا نقول إن العرش له قرار ولا مكان، لأن الله تعالى كان ولا مكان، فلما خلق المكان لم يتغير عما كان".

ومن كلامه في تنزيه الله عن الجوارح قوله في الصحيفة سبع وثلاثين من الإنصاف: "وأن يعلم مع كونه تعالى سميعا بصيرا أنه مدرك لجميع المدركات" إلى أن يقول: "وأنه مع ذلك ليس بذي جوارح وحواس توجد بها هذه الإدراكات فتعالى الله عن الجوارح والآلات".

ومن كتاب تمهيد الأوائل يقول القاضي رحمه الله: "فإن قال قائل: أين هو قيل له: الأين سؤال عن المكان وليس هو ممن يجوز أن يحويه مكان ولا تحيط به أقطار". ومن أقواله رضي الله عنه في الإنصاف ما نصه: وقال جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه: "من زعم أن الله تعالى في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك لأنه لو كان على شيء

---

[٦٥] ترتيب المدارك وتقريب المسالك لأعلام مذهب مالك ج٧، ص٤٦-٤٧.

[٦٦] إيضاح المحصول من برهان الأصول ٢٨١.

[٦٧] سورة الشورى/الآية١١

لكان محمولا ولو كان في شيء لكان محصورا ولو كان من شيء لكان محدثا أي مخلوقا والله يتعالى عن جميع ذلك".

المبحث الثالث: مذهبه في الفروع

ذهب أكثر المؤرخين مثل ابن فرحون المالكي وابن الأثير وابن عماد الحنبلي واليافعي إلى أن الباقلاني كان مالكيا[٦٨] وذكر القاضي عياض إنه كان شيخ المالكيين في وقته إليه انتهت رياسة المالكيين في وقته[٦٩] وأما صاحب الطبقات فقد ذهب إلى أنه كان شافعيا[٧٠] وقال صاحب البداية والنهاية وقد اختلفوا في مذهبه في الفروع فقيل شافعي وقيل مالكي حكى ذلك أبو ذر الهروي وقيل إنه كان يكتب على الفتاوى: كتبه محمد بن الطيب الحنبلي هذا غريب جدا[٧١].

وبهذا يلخص أنه كان مالكيا لكثرة الروايات التي تجعله مالكيا وأن أكثر تلاميذه كانوا على مذهب المالكية كأبي ذر الهواري وأبي محمد عبد الوهاب بن نصر المالكي وعلي بن محمد الحربي وغيرهم وكذلك شيوخه مثل أبي بكر الأبهري وابن مجاهد الطائي.

المبحث الرابع: ثناء العلماء على الباقلاني

---

[٦٨] الديباج المذهب ج٢، ص٢٢٧, ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد. **الكامل في التاريخ**. (بيروت: دار صادر، ١٩٧٩م.) ج٧، ص٢٦٩, شذرات الذهب ج٣، ص١٦٧, مرآة الجنان ج٣، ص٦, النجوم الزاهرة ج٤، ص٢٣٤.

[٦٩] ترجمة القاضي عياض للباقلاني الملحقة بكتاب التمهيد ٢٤٢.

[٧٠] طبقات الشافعية للسبكي ج٢، ص٢٥٥.

ابن كثير. **البداية والنهاية**. (دار إحياء التراث العربي، 1988م.) ج١١، ص٣٥٠.

يجمع المؤرخون كلهم على أن القاضي أبا بكر الباقلاني كان مجدد الدين على رأس المائة الرابعة[٧٢] حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[٧٣]. قال الإمام السيوطي في كتابه تحفة المهتدين بأخبار المجددين:

الحمد لله العظيم المنة	المانح الفضل لأهل السنة
ثم الصلاة والسلام نلتمس	على نبي دينه لا يندرس
لقد أتى في خبر مشتهر	رواه كل حافظ معتبر
بأنه في رأس كل مائة	يبعث ربنا لهذي الأمة
منا عليها عالما يجدد	دين الهدى لأنه مجتهد
فكان عند المائة الأولى عمر	خليفة العدل بإجماع وقر
والشافعي كان عند الثانية	لما له من العلوم السامية
وابن سريج ثالث الأئمة	والأشهري عده من أمه
والباقلاني رابع أو سهل أو	الإسفراييني خلف قد حكوا

ذكر أبوحيان التوحيدي في كتاب الامتاع والمؤانسة وهذا خلاف لآراء الإمام الباقلاني: أن الوزير أبا عبد الله العارض سأله في الليلة الثامنة وقال له: فما تقول في ابن الباقلاني؟ فقلت:

فما شر الثلاثة أم عمرو	بصاحبك الضي لا تصبحينا

يزعم أنه ينصر السنة ويفحم المعتزلة وينشر الرواية وهو في أضعاف ذلك على مذهب الخرمية وطرائق الملحدة قال : والله إن هذا لمن المصائب الكبار والمحن والأمراض التي ليس لها علاج.

---

[٧٢] **تبيين كذب المفتري** لابن عساكر ٥٣, **شذرات الذهب** لابن العماد الحنبلي ج٣، ص١٦٨, **مرآة الجنان للامام اليافعي** ج٣، ص٦.

[٧٣] **سنن أبي داود** ج٤، ص١٧٨, **المستدرك** ج٤، ص٥٢٢.

يقول ابن عساكر: "إن قول من قال إن القاضي أبا بكر محمد بن الطيب الباقلاني هو الذي كان على رأس الأربعمائة أولى من قول من قال إن أبا الطيب سهل بن محمد بن سليمان الصعلوكي النيسابوري هو الذي كان على رأس الأربعمائة لأنه أشهر من أبي الطيب الصعلوكي مكانا وأعلى في رتب القوم شأنا وذكره أكبر من أن ينكر وقدره أظهر من أن يستر وتصانيفه أشهر من أن تشهر وتواليفه أكثر من أن تذكر فأما أبو الطيب رحمه الله تعالى فإنما ذكره ببلده"[٧٤].

ومن الجدير بالذكر أن علماء الأمة لقبه بشيخ السنة ولسان الأمة وناصر الملة وإمام متكلمي أهل الحق وإمام وقته وأوحد زمانه لما فيه من حسن السيرة والتدين والتفوق في علم الكلام والنظر والدفاع عن العقيدة الإسلامية ضد الملل الخارجة عن الإسلام وأهل البدع.

قال ابن عساكر رحمه الله: "وكان القاضي أبو بكر فارس هذا العلم مباركا هذه الأمة كان يلقب بشيخ السنة ولسان الأمة وكان مالكيا فاضلا متورعا ممن لم يحفظ عليه زلة قط ولا انتسب إليه نقيصة."[٧٥]

قال القاضي عياض: "إن الباقلاني كان شيخ المالكيين في وقته وعالم عصره المرجوع إليه فيما أشكل على غيره وإليه انتهت رياسة المالكيين في وقته وكان حسن الفقه عظيم الجدل وكانت له ببغداد حلقة عظيمة."[٧٦]

وقال اليافعي: "وفي المائة الرابعة نوفي سيف السنة وناصر الملة الإمام الكبير الحبر الشهير لسان المتكلمين وموضح البراهين وقامع المبتدعين وقاطع المبطلين القاضي أبو بكر محمد بن الطيب المشهور بابن الباقلاني الأصولي المتكلم المالكي الأشعري المجدد به دين الأمة على رأس المائة الرابعة على القول الصحيح وكان فريد عصره في فنه وله التصانيف الكبيرة

---

[٧٤] **تبيين كذب المفتري** ٣٥.

[٧٥] نفس المرجع ١٢٠.

[٧٦] ترجمة القاضي عياض للباقلاني الملحة بالتمهيد ٢٤٢.

المستنة الشهيرة وإليه انتهت الرياسة في هذا العلم وكان ذا باع طويل في بسط العبارة مشهورا بذلك."[٧٧]

قال ابن خلكان: "كان أوحد زمانه وإليه انتهت الرياسة في مذهبه وكان موصوفا بجودة الاستنباط وسرعة الجواب وكان كثير التطويل في المناظرة مشهورا بذلك عند الجماعة."[٧٨]

نقل الخطيب البغدادي عن أبي الفرج محمد بن عمران الخلال أنه: "قال كان ورد القاضي أبي بكر محمد بن الطيب في كل ليلة عشرين ترويحة ما تركها في حضر ولا سفر."[٧٩] حكى الحافظ ابن عساكر بسنده أن أبا بكر الخوارزمي المتوفى سنة ٤٠٣هـ قال: "كل مصنف ببغداد إنما ينقل من كتب الناس إلى تصانيفه سوى القاضي أبي بكر فإن صدره يحوي علمه وعلم الناس."[٨٠]

قال أبو عبد الله الصيرفي: "كان صلاح القاضي أكثر من علمه وما نفع الله هذه الأمة بكتبه وبثها فيهم إلا بحسن نيته واحتسابه بذلك."[٨١]

قال ابن عساكر: "حكى لي من أثق به ان الصاحب بن عباد كان إذا انتهى إلى ذكر الباقلاني وابن فورك والاسفراييني وكانوا متعاصرين من أصحاب الأشعري قال لأصحابه: ابن الباقالاني بحر مغرق وابن فورك صل مطرق والاسفراييني نار تحرق." علق ابن عساكرعلى هذا

---

[٧٧] **مرآة الجنان** للإمام اليافعي ج٣، ص٦.

[٧٨] **وفيات الأعيان** ج٤، ص٢٦٩.

[٧٩] **تاريخ بغداد** ج٥، ص٣٧٩.

[٨٠] **تبيين كذب المفتري** ٢٢٠.

[٨١] أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي. **تاريخ قضاة الأندلس**. (بيروت، لبنان: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣م.) ج١، ص٣٧, ترتيب المدارك وتقريب المسالك ج١، ص٤٨٢.

القول فقال: "وكان روح القدس يفث في روعه حيث أخبر عن حال هؤلاء الثلاثة بما هو حقيقة الحال فيهم."[٨٢]

قال أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن برهان النحوي المتوفى سنة٤٥٦هـ: "من سمع مناظرة القاضي أبي بكر لم يستلذ بعدها بسماع كلام أحد من المتكلمين والفقهاء والخطباء والمترسلين ولا الأغاني أيضا لطيب كلامه وفصاحته وحسن نظامه وإشارته."[٨٣]

الفصل السادس: وفاته ورثاء الناس عليه

المبحث الأول: وفاته

جمعت كتب التراجم على أن القاضي أبا بكر محمد بن الطيب توفي يوم السبت لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة إلا أن القاضي عياض ذكر أنه وجد من يقول بأن القاضي أبا بكر مات سنة أربع وأربعمائة ثم عقب عليه القاضي عياض بأن هذا خطأ والأول هو الصحيح.[٨٤]

وجاء في وفيات الأعيان لابن خلكان أن القاضي أبا بكر الباقلاني توفي آخر يوم السبت ودفن يوم الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد وصلى عليه ابنه الحسن وكان شابا مرجوا فأخذته المنية بعد أبيه.

ودفن القاضي في داره بنهر طابق ثم نقل بعد ذلك إلى مقبرة باب حرب[٨٥] فدفن بجوار قبر أحمد بن حنبل ونقش على شاهد تربته ما نصه: هذا قبر القاضي الإمام السعيد

---

[٨٢] تبيين كذب المفتري ٢٤٤, الشذرات ج٣، ص١١٥.

[٨٣] مرآة الجنان لليافعي ج٣، ص٦.

[٨٤] ترجمة القاضي عياض للباقلاني الملحقة بالتمهيد ٢٤٥.

[٨٥] وهي مقبرة خارج مدينة بغداد وراء الخندق مما يلي قطربل قال البغدادي: وينسب باب الحرب إلى باب حرب بن عبد الله أحد أصحاب أبي جعفر المنصور وإليه تنسب المحلة المعروفة الحربية. **تاريخ بغداد** ج١، ص١٢١.

فخر الأمة ولسان الملة وسيف السنة عماد الدين ناصر الإسلام أبي بكر محمد بن الطيب البصري قدس الله روحه وألحقه بنبيه محمد صلوات الله عليه وسلامه ويزار ويستسقى ويتبرك به.[٨٦]

روى ابن عساكر أن الشيخ أبا الفضل التميمي حضر يوم وفاة الإمام الباقلاني العزاء مع إخوته وأصحابه وأمر أن ينادي بين يدي جنازته: هذا ناصر السنة والدين هذا إمام المسلمين هذا الذي كان يذب عن الشريعة ألسنة المخالفين هذا الذي صنف سبعين ورقة ردا على الملحدين وقعد للعزاء مع أصحابه ثلاثة أيام فلم يبرح وكان يزور تربته كل يوم الجمعة في الدار.

قال: وحدثني أبو الفضل، عبد الله بن علي المقرئ: سرت أنا وأبو علي بن شاذان وأبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن عثمان الصيرفي الى قبر القاضي أبي بكر بعد موته بشهر لنترحّم عليه. فرفعت مصحفا كان على القبر وقلت: اللهم بيّن لي في هذا المصحف حال أبي بكر وما صار إليه. ثم فتحت المصحف، فإذا فيه: " يا قوم أرأيتم إن كنت على بيّنة من ربّي وأتاني رحمة من عنده" الآية.[٨٧]

وهناك واقعة جديرة بالذكر وهي التي تبين للطالبين مكانة القاضي أبي بكر الباقلاني بعد وفاته عند الله تعالى. وهي ما رواه الحافظ أبو القاسم بسنده إلى القاضي أبي الفخر حيث يقول: سمعت الطائي يقول: كنت أشتهي أن أرى القاضي الإمام أبا بكر في النوم فلم يتفق لي فنمت ليلة وصليت على النبي صلى الله عليه وسلم ألف مرة وسألت الله تعالى ونمت فلما كان وقت السحر رأيت جماعة حسنة ثيابهم بيضاء وجوههم طيبة روائحهم ضاحكة أسنانهم فقلت لهم: من أين جئتم؟ فقالوا: من الجنة. فقلت: ما فعلتم؟ فقالوا: زرنا القاضي

---

[٨٦] **تبيين كذب المفتري** لابن عساكر ٢٢٣.

[٨٧] سورة هود ٢٨.

الإمام أبا بكر الأشعري. فقلت: وما فعل الله به؟ فقالوا: غفر له ورفع له الدرجات. قال الطائي: ففارقتهم وكأني رأيت القاضي أبا بكر وعليه ثياب حسنة وهو جالس في رياض خضرة نضرة فهممت أن أسأله عن حاله وسمعته يقرأ (فهو في عيشة راضية في جنة عالية)[٨٨] فهالني ذلك فرحا وانتبهت.[٨٩]

المبحث الثاني: رثاء الناس عليه عند موته

قد رثى الباقلاني بعض الشعراء فقال أحد منهم:

انظر إلى الجبل تمشى الرجال به	وانظر إلى القبر ما يحوي من الصلف[٩٠]
وانظر إلى صارم الإسلام منغمدا	وانظر إلى درة الإسلام في الصدف[٩١]

مدحه أيضا أبو الحسن السكر تلميذه فقال بعد ذكر الغزل:

ملكت محبات القلوب ببهجة	مخلوفة من عفة وتخبب
فكأنما من حيثما قابلتها	شيم الإمام محمد بن الطيب
اليعربي بلاغة وفصاحة	والأشعري إذا اعتزى للمذهب
قاض إذا التبس القضاء على الحجى	كشفت له الآراء كل مغيب
لا تستريح إذا الشكوك تخالجت	إلا إلى لب كريم المنصب
وصلته همته بأبعد غاية	أعني المريد بها سلوك المطلب
أهدي له ثمر القلوب محبة	وحباه حسن الذكر من لم يحبب
ما زال ينصر دين أحمد صارعا	بالحق يهدي لطريق الأصوب

---

[٨٨] سورة الحاقة ٢١- ٢٢.

[٨٩] اليافعي، **مرآة الجنان**، ج ٣ ص٧،٨.

[٩٠] الصلف: الفخر والتكبر.

[٩١] الصارم المنغمد: السيف المسلول, والدرة: اللؤلؤة العظيمة, الصدف: غشاء الدر الواحدة. ترجمة القاضي عياض للباقلاني الملحقة بكتاب التمهيد ٢٤٥, **تبيين كذب المفتري** ٢٢٣.

والناس بين مضلل ومضلل	ومكذب فيما أتى ومكذب
حتى انجلت تلك الضلالة فاهتدى	الساري وأشرق جنح ذاك الغيهب[٩٢]
وإذا الكلام تطاردت فرسانه	وتحامت الأقران كل مجرب
الفيته من لبه وجنانه	ولسانه وبيانه في مقنب[٩٣]
يا سيدا زرع القلوب مهابة	تسقى بماء محبة لم تنضب
فاسلم سلمت من الزمان وصرفه	فلأنت امرع من ربيع مخصب
فإذا سلمت لنا فاية نعمة	لم تعطها وبلية لم تسلب[٩٤]

[٩٢] ظلمة الليلة أو شديد السواد

[٩٣] المقنب كمنبر بكسر الميم وفتح النون: مخلب الاسد. **القاموس المحيط** ج١، ص١٢٠.

[٩٤] **مرآة الجنان وعبرة اليقظان** ج١، ص٤٠٢, **تاريخ بغداد** ج٥، ص٣٨١-٣٨٢, **تبيين كذب المفتري**.

الباب الثالث: مساهمات الإمام الباقلاني في مقارنة الأديان

قد ساهم كثير من علماء المسلمين في مجال علم مقارنة الأديان في القرون الأولى من السنوات الهجرية. وكان تلك الأزمنة معروفة في الردود خلاف النصرانية وغيرها من الأديان من قبل المسلمين. وهؤلاء العلماء كانوا متبحرين في جميع العلوم والفنون خاصة في علم مقارنة الأديان. وقد قال جميع من العلماء أن القرون الأولى كانت مشهورة في علم مقارنة الأديان و العلوم والفنون المتعلقة بها مثل الكتابات والمناظرات والمجادلات والمعاهدات مع الأديان الأخرى. وكان الملوك في تلك الأزمنة يحضون العلماء على هذه الحركات الفعالة.

فالإمام الباقلاني أيضا يعد من جمل هؤلاء العلماء الذين عاشوا في القرن الرابع من السنة الهجرية وقد ساهم كثيرا في مجال علم مقارنة الأديان بآراءه وكتبه ومناظراته ومؤلفاته القيمة. ويؤيد هذا ما ذكره أبو حاتم الطبري محمود بن الحسن القزويني: "إن ما كان يضمره القاضي الإمام أبو بكر الأشعري رضي الله عنه من الورع والديانة والزهد والصيانة أضعاف ما كان يظهره فقيل له في ذلك؟ فقال: إنما أظهر غيظا لليهود والنصارى والمعتزلة والرافضة والمخالفين لئلا يستحقروا علماء الحق والدين فأضمر ما أضمره."[٩٥]

ويؤيد هذا أيضا ما قاله الإمام الباقلاني نفسه عن علومه عن الأديان الأخرى في مناظرته أمام ملك الروم: " إني رجل أتكلم على حدوث العالم وإثبات محدثه وصفاته الواجبة له والمستحيلة عليه والجائزة في أحكامه وأتكلم على الوحدانية وأرد على البراهمة والمنانية

---

[٩٥] تحقيق السيد أحمد صقر لكتاب إعجاز القرآن، ص ٥٩.

والمجوس واليهود والنصارى وأبين صحة ما أدعيه من ناحية العقل وما يتعلق به من السمع والتوفيق وأبين ذلك كله بالبرهان اللائح وأرد على اثنين والسبعين فرقة وأنصر حقي.[٩٦]

ومن أكثر مساهماته في مقارنة الأديان ردوده على آراء الأديان الغير الإسلامية مثل المجوس واليهود والنصارى والبراهمة والثنوية وغيرها من الأديان ولكن إن الإمام الباقلاني خصص النصارى بمناظراته وعد جميع الأديان الأخرى في مؤلفاته القيمة.

الفصل الأول: مصنفاته في مقارنة الأديان

مصفات الإمام الباقلاني في علم مقارنة الأديان قد ينقسم إلى قسمين على حسب اعتباره علم مقارنة الأديان: الأول منها المصنفات القصدية وهي كتبه التي ذكر فيها الأديان بقصده والقسم الثاني: الكتب التي ذكر فيها الأديان غير قصدية وإنما كتبها في علم الكلام أو علوم القرآن أو إعجاز القرآن أو غيرها من القصائد.

المبحث الأول: مصنفاته القصدية

مصنفات الإمام الباقلاني القصدية في علم مقارنة الأديان قليلة لأنه كان مشهورا في علم الكلام ومجاله. ومن أشهر الكتب في علم الكلام ما سيأتي:

١. **المسائل القسطنطينية**: وهذا الكتاب يشتمل ما جمعه الإمام مما كان بينه وبين رهبان الروم من مسائل ومناظرات في مجلس إمبراطور بيزنطة باسيليوس الثاني[٩٧]. لم يوجد هذا الكتاب مخطوطة أو مطبوعة حتى الآن.

---

[٩٦] هذه الرواية للإسكافي السكوني، أبو علي عمر. **عيون المناظرات**. تحقيق سعد غراب.(د-م: منشورات الجامعة التونسية، 1976م.) ص٢٤٧، هي أتم من رواية القاضي عياض في كتابه ترتيب المدارك.

[٩٧] **الباقلاني وآراءه الكلامية**،١٩٨.

٢. **كتاب كيفية الاستشهاد في الرد على أهل الجحد والعناد:** هذا الكتاب كما يشير عنوانه إلى مضمونه ربما يبحث الإمام فيه عن أهل الجحد والعناد وهم الفرق المنتحلة للإسلام. فهذا الكتاب أيضا يشتمل من مؤلفاته في مقارنة الأديان.

٣. **كتاب الإبانة عن إبطال أهل الكفر والضلالة:** فهو معلوم من عنوان هذا الكتاب أن الإمام الباقلاني يبطل في هذا الكتاب أهل الكفر والضلالة واعتقاداتهم الفاسدة. فلذا نعد هذا الكتاب من مؤلفات الإمام الباقلاني في مقارنة الأديان.

٤. **المقدمات في أصول الديانات:** هذا الكتاب صنفه الإمام الباقلاني في علم مقارنة الأديان مع ذكر أصول الديانات المعروفة في عصره مثل الديصانية والثنوية والبراهمة والنصارى واليهود. ودرس القاضي هذا الكتاب تلميذه القاضي أبا محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن اللبان[٩٨]

المبحث الثاني: مصنفاته الغير القصدية

مصنفاته الغير القصدية كثيرة لأنه كتب عديد من الكتب في علم الكلام يذكر فيها عقيدة أهل السنة والجماعة والأشعرية. فيذكر مع ذلك كله عقائد غير أهل السنة والجماعة من الفرق الإسلامية والفرق من الأديان الأخرى. فليذكر الباحث هنا بعضا من هذه الكتب. كتابه التمهيد وكتابه إعجاز القرآن مهتمان من هذه المؤلفات. فلذا يذكرهما الباحث في مطلبين مختصين بهما.

المطلب الأول: الكتب غير التمهيد والإعجاز

كتب الإمام الباقلاني غير التمهيد والإعجاز التي يذكر فيها الأديان الغير الإسلامية ما يأتي:

---

[٩٨] **شذرات الذهب** ج٣، ص٢٧٤، مقدمة **إعجاز القرآن** لأحمد صقر ٢٦١.

١. **كتاب شرح اللمع:** واللمع كتاب لأبي الحسن الأشعري شرحه الإمام الباقلاني بشيراز أثناء مقامه فيها[٩٩] وعنوانه الكلي: كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع. وهذا الكتاب كما يدله عنوانه يحتوي على الرد على أهل البدع والزيغ فمنهم اليهود والنصارى والبراهمة وغيرهم من أهل الأديان. ولكن لم يوجد للباحث على حسب تطلعه.

٢. **هداية المسترشدين:** عنوانه الكامل هداية المسترشدين والمقنع في معرفة أصول الدين يظهر الإمام الباقلاني في هذا الكتاب أصول الدين الإسلامي ولكن هذا الكتاب يشتمل أيضا أصول الديانات الأخرى.

٣. **كتاب دقائق الكلام:** عنوانه الكامل كتاب دقائق الكلام والرد على من خالف الحق من الأوائل ومنتحلي الإسلام. ذكره الإمام الباقلاني في كتابه هداية المسترشدين وأشار إليه ابن تيمية في كتاب بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول. ومن عنوان هذا الكتاب نفسه يظهر أنه يذكر الأديان والفرق المنتحلة للإسلام.

المطلب الثاني: كتاب التمهيد

وقد ألف الإمام أبو بكر الباقلاني هذا الكتاب أثناء مقامه بشيراز لابن عضد الدولة البويهي وولي عهده الأمير أبي كاليجار المرزبان الذي لقب بعد ذلك بصمصام الدولة[١٠٠] وموضوع الكتاب كعنوانه الرد على الملحدة والمعتزلة المعطلة والمرجئة والشيعة والمعتزلة ويدل كلامه فيه على ذهنية متفتحة وعلى ثقافة واسعة بالملل والنحل والفرق والآراء والباقلاني فيه رجل جدل يفحم خصمه بكثرة ما يلاحقه به من الأدلة والحجج ومن حيث وضع المقدمات التي يبنى

---

[٩٩] **الباقلاني وآراءه الكلامية** ١٩٤.

[١٠٠] **تبيين كذب المفتري** لابن عساكر ١١٩.

عليها الأدلة ومن حيث ترتيب هذه المقدمات على نحو يدل على امتلاك ناصية الجدل وعلى طول باع في أصول الاستدلال.

إن كتابه التمهيد يرد على أكثر من الأديان وذكر الإمام الباقلاني فيه ردوده على الاعتقادات الباطلة في الأديان المجوسية والثنوية واليهودية وغيرها من الفرق والأديان وعلى اعتقاداتهم. وجعل لكل منها بابا بابا كما قال بدر بن محمد طراد المعيقيل في كتاه "جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى خلال القرون الستة الأولى": "خص النصارى في هذا الكتاب بفصل منه ناقشهم في زعمهم أن الله جوهر وعلاقة الأقانيم بالجوهر. ثم ذكر الأدلة النصية للنصارى على ألوهية المسيح وبين لهم اشتراك المسيح مع غيره في هذه الدلالات."[١٠١]

وقد أشار الإمام الباقلاني إلى التمهيد أي إلى ما فيه من ذكر الأديان الأخرى في كتابه هداية المسترشدين حيث يقول: "وقد تكلمنا في التمهيد بجمل على اليهود والنصارى والمجوس تغني الناظر فيها."[١٠٢] وقد أشار إليه أيضا أبو المظفر الإسفراييني في التبصير ص ١١٩[١٠٣] وابن قيم الجوزية في كتاب اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ص ١١٩و ١٢٠.[١٠٤]

الفرع الأول: كلامه على أهل التثنية

الثنوية هم الذين يزعون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه. وهؤلاء القوم قالوا بتساويهما في القدم واختلافهما في الجوهر

---

[١٠١] بدر بن محمد طراد المعيقل. **جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى خلال القرون الستة الهجرية الأولى**. (المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى، 1425هـ.) ٤٥١-٤٥٢.

[١٠٢] كتاب إعجاز القرآن تحقيق السيد احمد صقر ص ٤٣.

[١٠٣] الإسفراييني، طاهر بن محمد. **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**. (بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٣م.) ص ١٩.

[١٠٤] نفس المرجع.

والطبع والفعل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح.[١٠٥] وقال عنهم الإمام الباقلاني هم القائلون بأن العالم من أصلين نور وظلام لم يزالا متباينين ثم امتزج جزآن وأن النور خير حكيم وأن الظلام شرير سفيه.[١٠٦]

رد الإمام الباقلاني عليهم في قولهم إن النور والظلام قديمان بأنهما ليسا قديمين لتضادهما. والدليل الآخر على حدوثهما وهو أن الشخص يكون مرة مضيئا ومرة أسود مظلما. فعلم من ذلك إذا تغير حال الشيء في الزمانين وجاز أن تكون حركته وسكون موجودا في حالين وجب أنه يحدث.

والدليل على عدم فاعلية النور والظلام من قبل الإمام الباقلاني أن الظلام والنور عرضان وكذلك الأفعال كلها أعراض والعرض لا يجوز أن يقبل عرضا آخر. فلذا لا يكون الظلام ولا النور مستحقين للأفعال.

ويرد قول أهل التثنية إن العالم بأسره من أصلين قديمين أحدهما نور والآخر ظلام حيث إن دليلهم على ذلك:

١. أنهم وجدوا جميع الأجسام لا تنفك من أن تكون من ذوات الظل أو ليست من ذوات الظل كالنار والنور النيرين وغير ذلك من الأجسام التي لا ظل لها وما كان من هذا القبيل فهو من أشخاص النور وما كان من الأول فهو من أشخاص الظلام.

٢. وجدوا العالم لا ينفك من شخصين إما خفيف صاف شأنه الارتفاع والتصاعد واللحوق بعالمه والشوق أو ثقيل مظلم شأنه الهبوط والانحدار وخرق الخفيف

---

[١٠٥] الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب. **كتاب تمهيد الأوائل**. تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر. (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1407هـ الموافقة سنة 1987م) .ص ٧٨.

[١٠٦] نفس المرجع.

والاعتماد على ما تحته من الحديد والأرض فما كان من هذا الضرب من أشخاص الظلام والأول الخفيف من أشخاص النور.

فرد الإمام الباقلاني عليهم بقوله لم قالوا إن سائر الأجسام لا تنفك من ذلك ألأنهم لم تجدوا خلافه ولم زعموا أن القضاء على غائب الأمور وما نأى عن العالم عنا بمجرد الشاهد والوجود ثابت صحيح؟ ويقول أيضا في هذا ما أنكروا أن يكون في أجسام العالم ما طبعه الوقوف كالهواء وما جرى مجراه فيكون لا منحدرا ولا متصاعدا؟ وما أنكروا إن دل اختلاف حركة جزئيات النور والظلام في هذا العالم لطلب المركز والشوق إلى كليهما على اختلاف جنسيهما أن يدل وقوف كلية الظلام والنور في عالمها وموضع مركزهما على تماثلهما وتجانسهما واتفاق طباعهما.وقال أيضا ما أنكروا على اعتلالهم من أن يكون العالم بأسره من طبائع أربع حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة على ما قاله الأطباء وأصحاب الطبائع؟

المسألة الأولى: كلامه على الديصانية

قال الشيخ عماد الدين أحمد حيدر في تحقيقه لكتاب تمهيد الإمام الباقلاني: "وهم أتباع ديصان وإنما سمي حاحبهم بديصان باسم نهر ولد عليه. وهو قبل ما في صاحب المانوية وهو ماني. وهم فرقتان فرقة زعمت أن النور خالط الظلمة باختيار منه ليصلحها فلما حصل فيها ورام الخروج عنها امتنع ذلك عليه وفرقة زعمت أن النور أراد أن يرفع الظلمة عنه لما أحس بخشونتها ونتنها شابكها بغير اختيار. وزعم ابن ديصان أن النور جنس واحد وزعم بعض الديصانية أن الظلمة أصل النور. وذكر أن النور حي حساس عالم وأن الظلمة بضد ذلك عامية غير حساسة ولا عالمة. وأصحابه بنواحي البطائح كانوا قديما وبالصين وخراسان أمم منهم متفرقون. ولهم كتب كثيرة كتاب روحانية الحق وكتاب المتحرك والجماد."[١٠٧]

---

[١٠٧] الشيخ عماد الدين أحمد حيدر، **كتاب تمهيد الأوائل**، ص ٨٥.

قد رد الإمام الباقلاني الديصانية على آراءهم الباطلة وهي زعمهم أن الظلام موات فعال للشر بطبعه دون النور ودليلهم عليه أنهما لما كانا صلافين بأنفسهما وكان النور حيا بذاته استحال أن يكون الظلام حيا بذاته. فقال الإمام الباقلاني ردا عليهم: ما أنكرتم أن يكون الظلام محدثا لأنه لما ثبت من قولكم إن النور قديم لذاته استحال أن يكون الظلام قديما بذاته ونفسه.[١٠٨]

الفرع الثاني: كلامه على المجوس

قال في الباب السابع أولا مايحد دين المجوس هو قوله: "القائلون بحدوث الشيطان من شكة شكها شخص من أشخاص النور في صلاته والقائلون بأنه حدث من فكر الله تعالى والقائلون بأنه حدث من عقوبة عاقب الله تعالى بها."[١٠٩]

أثناء كتابه التمهيد يرد الإمام الباقلاني آراء هؤلاء القوم المجوسي بجوابه القيم:

فمن أول آراءهم: حدث فعل من الله هو الشيطان وغيره من فكرة فكرها أو شكة شكها أو عقوبة عاقب الله بها فرده الإمام الباقلاني: فإن من أوصاف القديم (الله) المستحيلة الشك في أزله أو في حدوثه لما فعل الأفعال المحكمة الدالة على العلم والقصد. ويسأل الإمام الباقلاني أيضا أسئلة للمجوسية ردا عليهم في آراءهم حيث إنه يسألهم ست أسئلة مبهتة.

الفرع الثالث: كلامه على النصارى

أثناء كتاب التمهيد إن الإمام الباقلاني يرد على اعتقادات النصارى في المواضع المتصلة بآراءهم ومسائلهم. ويجيبهم على مسائلهم خلاف الإسلام والمسلمين ويسألهم مسائل أخرى تبطل اعتقاداتهم.

---

[١٠٨] **تمهيد الأوائل**، ص ٨٥.

[١٠٩] كتاب التمهيد

ولكن قد رتب بابا واحدا للرد على النصارى بالخصوص وهو الباب الثامن أبواب الكلام على النصارى. يقول فيه أبواب مختلفة في اعتقادات النصارى المتفرقة وهي قولهم "إن الله جوهر" وقولهم في الأقانيم واعتقادهم في معنى الاتحاد وقولهم في منظور التثليث.

المسألة الأولى: قولهم إن الله جوهر

دليل النصارى على أن الله جوهر ثلاث:

١. أنهم وجدوا الأشياء كلها في الشاهد والوجود لا تخلو من أن تكون جواهر أو أعراضا واتفقوا على أن القديم ليس بعرض فوجب أن يكون جوهرا

٢. وجدوا الأشياء كلها لا تخرج عن قسمين: قائم بنفسه وقائم بغيره والقائم بغيره هو العرض والقائم بنفسه هو الجوهر وثبت أن الله قائم بنفسه فهو جوهر من الجواهر

٣. قالوا إن الشيء الذي يصح منه الأفعال وهو الجوهر ويمتنع من الأشياء وهو العرض وثبت أن القديم فاعل.

فيقول لهم الإمام الباقلاني في هذه أن من الأشياء الفعال الشريف القائم بنفسه الذي هو الجسم المؤلف وليس بشيء واحد وقد أنكرتم كون الباري تعالى جسما. وكيف يكون هذا؟[١١٠]

ومثل هذا القول يرد الإمام الباقلاني على النصارى في قولهم إن الله جوهر بمسائل تبهتهم وتبطل اعتقاداتهم في هذا القول.

المسألة الثانية: قولهم في الأقانيم

[١١٠] نفس المرجع ٧٨.

زعم النصارى أن الله تعالى ثلاثة أقانيم وهذا القول يسمى في عقيدتهم منظور التثليث. وثبت أن الله تعالى حي وأنه عالم فوجب أنه جوهر واحد أقانيم الثلاثة منها الوجود ومنها العلم ومنها الحياة لأن الحي العالم لا يكون حيا عالما حتى يكون ذا حياة وعلم فوجب وثبت أن الأقانيم ثلاثة. والإمام الباقلاني يسألهم سؤالا: لماذا لم تعدوا القدرة كالأقنوم للباري تعالى ولم لم تجعلوا الأقانيم أربعة.

وقد اختلفوا أيضا في أن الأقنوم هل هو جوهر أم غيرها. فقالت اليعقوبية والنسطورية الأقنوم هو نفس الجوهر.[١١١] فأجابهم الباقلاني: إن الأقانيم مختلفة من حيث هي خواص متباينة المعنى ومن حيث هي معدودة ومن حيث هي أقانيم ومن حيث إن الابن منها تدرع واتخذ بجسد المسيح عليه السلام دون الروح وليست الجوهر كذلك لأنه غير معدود وغير مختلف وهذا جهل.

وقال قوم منهم الملكية وهم الروم: إن الجوهر غير غير الأقانيم الثلاثة فالجواب لهم من الإمام الباقلاني هو إن كان جوهر إلها والأقانيم الثلاثة آلهة وهي غيره فالإله إذا أربعة جوهر وثلاثة أقانيم وهذا يبطل قولهم بالتثليث.[١١٢] ويجيب الإمام لكل من الفرق المسيحية: إن كان كل من الأب والابن والروح إله فهم ثلاثة آلهة فلا معنى لقولهم"إله واحد."[١١٣]

وقد اختلفت النصارى أيضا في معنى الأقنوم والأقانيم:

١. فقال بعض منهم: أن معنى الأقانيم التي هي الخواص أنها صفات للجوهر. فيقول لهم الإمام الباقلاني إذا استحال أن تكون أقانيم وخواص لأنفسها فإنما تكون صفات وأقانيم لشيء آخر هو غيرها ولا يقال له إنه هي وهذا يوجب أربعة معان منها الجوهر وثلاثة خواص له.

[١١١]نفس المرجع, ٨١.

[١١٢]نفس المرجع، ٨٢.

[١١٣]نفس المرجع، ٨٣.

٢. وزعم بعض آخر أن معنى الأقانيم والخواص أنها أشخاص. فيقول الإمام الباقلاني لهم: إن قلتم هي أشخاص لأنفسها تركتم قولكم لجوهر جامع لها فأبطلتم التثليث.

٣. وقال آخر هي خواص فقط فرد الإمام الباقلاني هذا القول كما رد ما قبله من الزعم.[١١٤]

المسألة الثالثة: كلامهم في معنى الاتحاد

اختلفت عبارات النصارى عن معنى الاتحاد:

١. قال كثير منهم: معنى الاتحاد أن الكلمة التي هي الابن حلت جسد المسيح عليه السلام.

٢. زعمت اليعقوبية أن كلمة الله انقلبت لحما ودما بلا اتحاد.

٣. زعمت النسطورية أن اتحاد الكلمة بالناسوت اختلاط وامتزاج مثل اختلاط الماء وامتزاجه بالخمر واللبن إذا صب فيه ومزج.

٤. بعض منهم قالوا أن معنى اتحاد الكلمة بالناسوت الذي هو الجسد هو اتخاذه له هيكلا ومحلا وتدبيرها الأشياء عليه وظهورها فيه دون غيره.[١١٥]

المسألة الرابعة: قولهم في إلهية عيسى

وقد أنكر النصارى إلهية موسى عليه السلام ودليلهم عليه أنه لم يكن موسى مخترعا في خلق البحر ونحوه وإنما كان يدعو إلى الله تعالى. ولكن عيسى عليه السلام كان يفعله من عند نفسه. فأجابهم الباقلاني رحمه الله تعالى: إن كان أمر موسى عليه السلام هكذا كان عيسى عليه السلام يدعو ويفعل هكذا حيث نطق الإنجيل به: إن عيسى عليه السلام بكى وقال:

---

[١١٤] نفس المرجع، ٨٦.

[١١٥] نفس المرجع، ٨٧.

"رب إن كان في مشيئتك أن تصرف هذه الكأس فاصرفها عني"[١١٦] وأنه أراد يحيي رجلا فقال: "يا أبي أدعوك كما كنت أدعوك فتستجيب لي وإنما أدعوك من أجل هؤلاء القوم ليعلموا"[١١٧] وقال: "يا أبي أنا أحمدك"[١١٨] وقال على الخشبة وقت الصلب بزعمهم: "إلهي إلهي لم تركتني"[١١٩].

ويأتي النصارى بدليل آخر على إلهية عيسى عليه السلام وهو أن الله قال في الكتب إنه إله وسماه إلها كذلك فقال: "العذراء البتول تحمل وتلد ابنا ويدعى اسمه إلها"[١٢٠]. فيقال لهم فقد قال الله تعالى أيضا لموسى: "إني قد جعلتك إلها لهارون وجعلتك إلها لفرعون"[١٢١] على أن المعنى هنا أنك مدبر له وآمر له وواجبة عليه إطاعتك. وكذلك تؤول ما قيل في عيسى عليه السلام إنه إله أيضا.

ومن الدلائل لديهم في إلهية عيسى عليه السلام أنه ولد لا من فحل. فأجاب الإمام الباقلاني بأن آدم عليه السلام أحق أن يكون إلها لما أنه وجد لا من ذكر ولا من أنثى. وكذلك حواء عليها السلام تكون ربا لأنها وجدت من ضلع آدم عليه السلام من غير ذكر ولا أنثى. كذلك الملائكة كلهم هم موجودون لا من ذكر ولا أنثى.[١٢٢]

ومن دلائلهم لإلهية عيسى أيضا: كل واحد من الأنبياء قد أقر بلسانه بأنه إنسان مخلوق وعبد مربوب مألوه مرسل من عند الله سبحانه وتعالى والمسيح عليه السلام لم يقر بلسانه بأنه مخلوق الله. أجاب الباقلاني رحمه الله تعالى: وكذلك المسيح عليه السلام قد

---

[١١٦] إنجيل متى ٢٦:٣٩، إنجيل مرقوس ١٤:٣٦، إنجيل لوقا ٢٢:٤٢.

[١١٧] إنجيل يوحنا ١١: ٤١-٤٢.

[١١٨] إنجيل لوقا ١٠:٢١، إنجيل يوحنا ١٧:٤، إنجيل متى ١١:٢٥.

[١١٩] إنجيل متى ٢٧:٤٦، إنجيل مرقس ١٥:٣٤.

[١٢٠] إنجيل متى ٢٣:١، نبوة أشعياء ٧:١٤.

[١٢١] سفر الخروج ٧:١.

[١٢٢] **كتاب التمهيد** ١٠١.

اعترف بأنه نبي مرسل وعبد مخلوق كما نطق به الإنجيل نفسه حيث قال: "إني عبد الله أرسلت معلما" وقال: "فكما بعثني أبي فكذلك أبعثهم"[١٢٣] "عمدوا الناس وغسلوهم باسم الأب والابن وروح القدس"[١٢٤] وقال في الإنجيل: "أخرجوا بنا من هذه المدينة فإن النبي لا يكرم في مدينته."[١٢٥] وفي هذه الإقرارات عنه كثيرة بأنه نبي وعبد مرسل من عند الله تعالى ومألوه مدبر فوجب أنه ليس بإله.[١٢٦]

ودليلهم من الإنجيل أنه قال: "أنا وأبي واحد"[١٢٧] "ومن رآني فقد رأى أبي"[١٢٨] ولكن يقول الباقلاني: معناه في الحقيقة أن من أطاعني فقد أطاع أبي والمراد بالأب هنا مرسله ومعلمه الحكمة ومن عصاني فقد عصاه ومن رآني فكأنما رآه وسمع حكمته وأمره ونهيه.

ودليلهم الآخر على إلهية عيسى عليه السلام أنه قال: "أنا قبل إبراهيم"[١٢٩] وهو إنسان من ولد إبراهيم عليه السلام فعلمنا بناسوته. ولكن يقول الإمام الباقلاني المراد الحقيقي بقوله "أنا قبل إبراهيم" كثير من ديني وشرعي كان متعبدا به ومشروعا قبل إبراهيم عليه السلام على لسان بعض الرسل أو المراد أنا مكتوب عند الله أو أنا معروف قبل إبراهيم عليه السلام عند قوم من الملائكة الأبرار أو أنا مبعوث إلى الحشر قبل إبراهيم عليه السلام.[١٣٠]

ويقول الإمام الباقلاني بعده: والقول بأن اللاهوت اتحد به قول بعيد يحتمل التأويل وقد قال سليمان عليه السلام في كتابه: "أنا قبل الدنيا وكنت مع الله تعالى حيث مد الأرض

---

[١٢٣] إنجيل يوحنا ٢٠:٢١

[١٢٤] إنجيل متى ٢٨:١٩،٢٠.

[١٢٥] إنجيل يوحنا ١٤:٣١.

[١٢٦] مثل هذه الأجوبة أو نفسها موجودة في كتاب الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل للإمام الغزالي.

[١٢٧] إنجيل يوحنا ١٠:٣٠.

[١٢٨] إنجيل يوحنا ١٤:٣١.

[١٢٩] إنجيل يوحنا ٨:٥٨.

[١٣٠] **كتاب التمهيد** ١٠٣.

وكنت صبيا ألعب بين يدي الله عز وجل"[١٣١] ولم يجب أن يكون سليمان قبل الدنيا ومع الله سبحانه وتعالى حيث مد الأرض بلاهوته وأن يكون ابن داود بناسوته. فهناك مزيد من التأويلات في مثل هذه المسائل.[١٣٢]

الفرع الرابع: كلامه على البراهمة

هم طائفة من اليهود لا يجوزون على الله سبحانه وتعالى بعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهم يحومون لحوم الحيوانات ويقال لأحدهم برهمي. زعموا أنهم سموا بهذه التسمية لانتسابهم إلى خليل الله إبراهيم عليه السلام وذلك باطل. وقد ادعوا نفي المعجزات أصلا ورأسا فكيف ينسبون إلى خليل الله عليه السلام؟ وفي الحقيقة إنهم سموا بهذا الاسم بالانتساب إلى رجل منهم يقال له براهم.[١٣٣]

يقول الإمام محمد ابن الطيب الباقلاني رحمه الله تعالى في كتابه التمهيد إن البراهمة افترقوا على قولين فمنهم من جحدوا الرسل وزعموا أنه لا يجوز في حكمة الله سبحانه وتعالى وصفته أن يبعث رسولا من عنده إلى خلقه وأنه لا وجه من ناحيته لتلقي الرسالة عن الخالق.

والفريق الآخر قال: إن الله ما أرسل رسولا إلى خلقه سوى آدم عليه السلام وكذبوا كل من ادعى النبوة سواه وبعض من هذه الفرقة قال ما بعث الله سبحانه وتعالى غير خليل الله إبراهيم عليه السلام وأنكروا نبوة من سواه.[١٣٤]

والدليل لهم في قولهم استحالة الباري سبحانه وتعالى إنفاذ الرسل إلى الخلق أن الله علم بأن الرسول من جنس المرسل إليه وأن جوهرهما واحد وأن تفضيل أحد المتماثلين

---

[١٣١] سفر الأمثال ٨: ٢٢-٣٠.

[١٣٢] كتاب التمهيد ١٠٣.

[١٣٣] الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد. **الملل والنحل**. تحقيق محمد سيد كيلاني. (بيروت، لبنان: دار المعرفة، د-ت). ج٢، ص٢٥٠.

[١٣٤] الباقلاني، **التمهيد**، ص ١٠٨.

المتساويين على مثله ونوعه ومن هو بصفته حيف ومحاباة وميل وخروج عن الحكمة وذلك غير جائز على الحكيم.

فأجابهم الإمام الباقلاني رحمه الله تعالى بأن الله سبحانه وتعالى قد يخص بعض المتجانسين على بعض منهم وذلك ليس بسفه لأننا نحبو بعض عبيدنا وأصدقائنا والمتصرفين معنا كتصرف غيره بأكثر مما نحبوه به غيره ونفضله بعطاء وتشريف لا يستحقه أكثر مما نحبو به غيره.

ودليلهم الآخر على قولهم هذا أنهم وجدوا المرسلين كلهم في الشاهد والمعقول من جنس المرسل فلما لم يجز أن يكون القديم من جنس المخلوقات بذاته ثبت أنه لا يجوز أن يرسل رسولا إلى خلقه. فرد الإمام الباقلاني هذا القول: فيجب من هذا الاعتلال ألا يكون الله سبحانه وتعالى محتجا على الخلق بعقولهم ولا آمرا لهم بما وضعه فيها من وجوب فعل الحسن وترك القبيح واستعمال النظر وفعل التوحيد لله والمعرفة به والشكر لنعمه لأن المحتج الآمر في الشاهد من جنس المآمور المحتج عليه فإن مروا على ذلك تركوا التوحيد ولحقوا بأهل التعطيل.

المطلب الثالث: كتابه إعجاز القرآن

هذا الكتاب أول كتب الباقلاني نشرا وأشهرها ذكرا أعظم كتاب ألف في الإعجاز إلى يومنا هذا. إن القاضي صنف هذا الكتاب حيث لم يبسط العلماء أقوالهم في الإبانة عن وجه معجزة القرآن الكريم والدلالة على مكانه مع أن الحاجة إلى ذلك أمس وما صنف العلماء في هذا الموضوع لم يكمل بابه وقد أخل بالتهذيب وأهمل الترتيب.

وفي التاريخ أن سائلا سأله أن يذكر جملة من القول جامعة تسقط الشبهات وتزيل الشكوك التي تعرض للجهال وتنتهي إلى ما يخطر لهم ويعرض لأفهامهم من الطعن في وجه المعجزة. فأجابه إلى ذلك وألف كتاب إعجاز القرآن.

يذكر الإمام الباقلاني في هذا الكتاب عن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وعن معجزاته وعن علوم القرآن الكريم من بلاغته وفصاحته وعن ما وقع بين الفرق الإسلامية من المسائل عن إعجاز القرآن مثل ما وقع بين الأشاعرة والمعتزلة ومثل ما وقع بين الملحدين والمسلمين ومثل ما وقع بين المسلمين وأهل الأديان الأخرى في شأن القرآن.

وقد أشار بدر بن محمد طراد المعيقيل في كتاه "جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى خلال القرون الستة الأولى" إلى ما في كتاب إعجاز القرآن من علم مقارنة الأديان أن الإمام الباقلاني قد ذكر في كتابه إعجاز القرآن ما وقع بينه وبين راهب نصراني من المناظرة.

الباب الرابع: مناظرات الإمام الباقلاني مع النصارى

الفصل الأول: المدخل إلى فن المناظرة

المبحث الأول: تعريف المناظرة

المناظرة لغة من النظير بمعنى أنه مأخذهما شيء واحد. وقيل من النظر بمعنى الإبصار أو التفات النفس إلى المعقولات والتأمل فيها أو بمعنى الانتظار أو المقابلة.

واصطلاحا: توجه المتخاصمين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب.[١٣٥]

المبحث الثاني: صفات المناظر

وهناك كثير من الصفات التي هي مستأهلات المناظرين في مناظراتهم القيمة فلا تكون المناظرة جيدة إلا بأهلية المناظرين لهذه الخصائص والصفات. وقد نقل وقار علي بن مختار علي عن الفخر الرازي في كتابه المناظرة الرشيدية هذه الأوصاف الجميلة التي لا بد منها للمناظر. ومنها:

١. أن يحترز المناظر عن التطويل في الكلام لئلا يؤدي إلى إملال السامعين
٢. وأن يحترز عن الاختصار كي لا يخل للفهم
٣. أن لا يستعمل الألفاظ الغريبة أثناء المناظرة
٤. أن لا يستعمل الجمل المحتملة للمعنيين بلا قرينة معينة للمراد
٥. أن يحترز عما لا دخل له في المقصود لئلا يخرج الكلام عن الضبط ولئلا يلزم البعد عن الطلب

[١٣٥] وقار علي ابن مختار علي. **المناظرة الرشيدية**. (ديوبند: مكتبة تهانوي، د–ت.) ١١.

٦. أن لا يضحك ولا يرفع الصوت ولا يتكلم بكلام السفهاء لأنه من صفات الجهال يستترون بها كلامهم
٧. أن يحترز عمن كان مهيبا محترما
٨. أن لا يحسب الخصم حقيرا لئلا يصدر عنه بسببه كلام ضعيف.

المبحث الثالث: دور المناظرة في مقارنة الأديان

إن لفن المناظرة دور معتبر وأهمية خاصة ودرجة معني بها في مجال مقارنة الأديان من حيث إن المناظرة قد تجري أحيانا بين أهل الديانات المختلفة وبين الفرق الدينية. والمناظرة ترتكز أحيانا على القواعد أو العقائد الدينية التي تجتمع فيها أكثر الديانات أو تختلف فيها مثل المنظور الإلهية وصفاته وأسماءه وجوهريته ونحوها من المنظورات.

وقد عد بعض علماء مقارنة الأديان أو أكثرهم المناظرة جزءا خاصا من علم مقارنة الأديان. وقد جرت مناظرات عديدة بين العلماء المسلمين وبين البطاريك ونحوهم من علماء الأديان الأخرى. قالت قمر أوريا قمر الزمان[١٣٦]:

"الردود خلاف النصرانية صارت جزءا مهتما في المجتمعات الإسلامية العقائدية بعد نصف القرن الثالث أو التاسع. وفي هذه العصور كان أكثر المتكلمين مشهورين في اشتراك المناظرات أو في كتابة الكتب المماثلة لها.[١٣٧]

وكانت المناظرة في تلك الأزمنة أو العصور خلاف النصرانية وبطاريكهم. جعل علماء المسلمين يتعلمون المسيحية وعقائدهم ويردونهم. وكان من سبب هذه الردود والتعاليم

---

١٣٦ Kamar Oria, Kamaruzzamān. *Early Muslim Scholarship in Religionswissenschaft.* Kaulalampur: ISTAC, IIUM, 2003..21-22.

١٣٧ Thomas, Anti Christian Polemics, p.37.

السياسة والعقول. كانت النصرانية في تلك الأزمنة ماهرين في العلوم العقلية وكانوا غالبين في السياسة أيضا وهم أيضا ركزوا على نشر عقائدهم ودينهم بين النصارى بأعمالهم الدعوية على طبعهم. فلذا كان من الواجب على علماء المسلمين علم أحوال النصارى والرد على عقائدهم على حسب العقل. وركز علماء المسلمين في كتبهم على الموضوعات العقائدية مثل التثليث والألوهية والجوهرية والأقانيم وغيرها من الأحكام.

ومن المعلوم من التواريخ وكتبها أنه قد جرت مناظرات عديدة بين علماء المسلمين وبطاريك النصارى مثل ماوقعت بين تيموتي البطريك والخليفة محمد المهدي سنة ١٦٤هـ الموافقة سنة ٧٨١م[١٣٨] ومثل ما وقعت بين السرخسي والبطريك إسرائيل الكسكري من سنة ٢٢٣هـ إلى سنة ٢٨٢هـ[١٣٩] ومثل ما رقعت بين هشام بن الحكم والبطريك بريحا سنة ١٧٩هـ الموافقة سنة ٧٩٥م[١٤٠] ومثل ما وقعت بين علي بن موسى وعلماء النصارى واليهود سنة ١٩٨هـ الموافقة سنة ٨١٣م.[١٤١] "

وقد قال الله تعالى في قرآنه الكريم: (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)[١٤٢] ويعلم من هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى عالم بجميع الناس منهم الهادي ومنهم المهتدي ومنهم الضال والمضل. وفي هذه إشارة أيضا إلى أن من الواجب للدعوة الإسلامية المقصودة من إرساله النبي ﷺ أن يعلم عن جميع الناس وعن أديانهم. وهي نفسه علم مقارنة الأديان.

---

[١٣٨] Mingana, Christian Documents, p.137-226.

[١٣٩] Moosa, A New Source on al-Sarakhsi, p.19-22.

[١٤٠] Thomas, Two Muslim-Christian Debates, p.53-80.

[١٤١] نفس المرجع.

[١٤٢] سورة النحل،١٢٥.

ويفهم من هذه الآية الكريمة أيضا أن المجادلة الحسنة وسيلة أو هي جزء خاص من وسائل الدعوة الإسلامية. فالمناظرة الحسنة هي المسماة بالمناظرة حيث قال جميع من العلماء المناظريين أن المجادلة هي الجدال فقط وقد تكون لإفحام الخصم أو لإظهار الحق. فالمجادلة لإظهار الحق فإنما هي المسماة بالمناظرة. فتكون المناظرة مهمة في علم مقارنة الأديان.

الفصل الثاني: جمع مناظرات الإمام الباقلاني مع النصارى

المبحث الأول: مناظراته مع غير النصارى

ومما يعلم من تاريخ الإمام الباقلاني رحمه الله تعالى وترجمته أنه كان محبا في فن المناظرة وكان سرعة الجواب لسؤال الخصم. وقد ناظر مع أكثر من أهل الأديان والعلماء. قال ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان: كان الإمام الباقلاني ذا جودة الاستنباط وسرعة الجواب وكثير التطويل في المناظرة ومشهورا بذلك عند الجماعة.[١٤٣]

وقد قال أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن برهان النحوي المتوفى سنة ٤٥٦هـ مادحا لمناظرة الإمام الباقلاني: من سمع مناظرة القاضي أبي بكر لم يستلذ بعدها بسماع كلام أحد من المتكلمين والفقهاء والخطباء والمسترسلين ولا الأغاني أيضا من طيب كلامه وفصاحته وحسن نظامه وإشارته.[١٤٤]

ومما ناظر الإمام الباقلاني مع غير النصارى مثل العلماء:

١. ما رواه الإمام أبو عبد الله الحسين بن أحمد الدامغاني حيث قال: لما قدم القاضي الإمام أبو بكر الأشعري بغداد دعاه الشيخ أبو الحسن التميمي الحنبلي إمام عصره

[١٤٣] ابن خلكان، **وفيات الأعيان** ج٣، ص٤٠٠.

[١٤٤] مقدمة **إعجاز القرآن** للسيد أحمد صقر ٥٩.

في مذهبه وشيخ مصره في رهطه؛ وحضر الشيخ أبو عبد الله بن مجاهد والشيخ أبو الحسن محمد بن أحمد بن سمعون وأبو الحسن الفقيه فجرت مسألة الاجتهاد بين القاضي أبي بكر وبين أبي عبد الله بن مجاهد وتعلق الكلام بينهما إلى أن انفجر عمود الصباح وظهر كلام القاضي عليه وكان أبو الحسن التميمي الحنبلي يقول لأصحابه: تمسكوا بهذا الرجل فليس للسنة عنه غني أبدا.[١٤٥]

٢. ما رواه الصفدي في كتابه الوافي بالوفيات: جرى بينه أي الباقلاني وبين أبي سعيد الهاروني مناظرة فأكثر الباقلاني الكلام فيها ووسع العبارة وزاد في الإسهاب ثم التفت إلى الحاضرين وقال: اشهدوا علي أنه إن أعاد ما قلت لم أطالبه بالجواب فقال الهاروني: اشهدوا علي أنه إن أعاد كلام نفسه سلمب له ما قال.[١٤٦]

٣. ما رواه الصفدي أيضا في ترجمة أبي الحسن المتكلم محمد بن شجاع المعتزلي حيث يقول: حضر مجلس عضد الدولة وكلم أبا بكر الباقلاني الأشعري في مسألة كلامية فطول في بعض نوبه فلما أخذ أبو الحسن الكلام في نوبته قال له القاضي أبو بكر: قد أخللت بالجواب عن فصل ياشيخ. وأخذ الباقلاني الكلام على نوبته فزاد في الطول فقال له أبو الحسن: علاوتك أثقل من حملك. فضحك عضد الدولة من ذلك.[١٤٧]

٤. ما رواه القاضي عياض في كتابه ترتيب المدارك:

قال أبو عبد الله الأزدي، وغيره: كان الملك عضد الدولة فناخسرو بن بويه الديلمي يحب العلم والعلماء. وكان مجلسه يحتوي منهم على عدد عظيم في كل فن وأكثرهم الفقهاء والمتكلمون. وكان يعقد لهم للمناظرة مجالس. وكان قاضي قضاته بشر بن

---

[١٤٥] مقدمة إعجاز القرآن للسيد أحمد صقر ص ٦٠.

[١٤٦] الصفدي، **الوافي بالوفيات** ج٣، ص١٧٧.

[١٤٧] نفس المرجع ج٣، ص١٤٧.

الحسين معتزليا. فقال له عضد الدولة يوما: هذا المجلس عامر بالعلماء إلا أني لا أرى فيه عاقداً من أهل الإثبات والحديث يناظر فقال له قاضيه: إنما هم عامة أصحاب تقليد ورواية يروون الخبر وضده ويعتقدونهما جميعاً. ولا أعرف منهم أحداً يقوم بهذا الأمر. وإنما أراد ذمّ القوم ثم أقبل يمدح المعتزلة. فقال له عضد الدولة: محال أن يخلو مذهب طبق الأرض من ناصر فانتظر أي موضع فيه مناظر يكتب فيه فيجلب. فلما عزم عليه. قال القاضي: أخبروني أن بالبصرة شيخا وشابا، الشيخ يعرف بأبي الحسن الباهلي[١٤٨] والشاب يعرف بابن الباقلاني. فكتب الملك من حضرته يومئذ يشير الى عامل البصرة ليبعثهما. وأطلق مالاً لنفقتهما من طيب ماله. فلما وصل الكتاب إليهما. قال الشيخ وبعض أصحابه: هؤلاء قوم كفرة فسقة لا يحل لنا أن نطأ بساطهم، وليس غرض الملك من هذا إلا أن يقال إن مجلسه مشتمل على أصحاب المحابر كلهم ولو كان خالصا لله لنهضت.

قال القاضي: فقلت له: هكذا قال ابن كلاب والمحاسبي ومن في عصرهم إن المأمون فاسق لا نحضر مجلسه، حتى سيق أحمد بن حنبل الى طرسوس وجرى عليه بعده ما عرف. ولو ناظروه لكفوه عن هذا الأمر وتبين لهم ما هم عليه بالحجة وأنت أيضاً أيها الشيخ تسلك سبيلهم حتى يجري على الفقهاء ما جرى على أحمد[١٤٩] ويقولوا بخلق القرآن ونفي الرواية؟ وها أنا خارج إن لم تخرج.

فقال الشيخ: أما إذا شرح الله صدرك لهذا، فاخرج. فخرجت مع الرسول، نحو شيراز في البحر فوصلت فسألت عن صفة الدخول عليهم، فأخبرت أنه إذا كان يوم الجمعة لم يحجب عنه كل صاحب طيلسان. لأن له فيه مناظرة.

---

[١٤٨] وفي رواية بأبي بكر بن مجاهد.

[١٤٩] هو أحمد بن حنبل.

وفي رواية: فلما كان من الغد دخلت على الملك، وكان إذا صلى الظهر وقعد العلماء رفع الحجاب ودخل كل صاحب طيلسان. فدخلت والناس قد اجتمعوا والملك قاعد على سرير، وبين يديه غلمان بأيديهم السيوف المحلاة. وعن يمينه ويساره مراتب. وما عن يمينه خال لا يقعد هناك إلا وزير أو ملك عظيم. فكرهت أن أقعد آخر الناس، للذلة. فمضيت وقعدت عن يمينه بحذاء قاضي القضاة، عن يساره، فنظر الملك لقاضي القضاة، نظرا منكرا. ولم يكن في المجلس من يعرفني إلا واحد، وقد فزعوا لفعلي. فقال الرجل للقاضي: هذا الرجل الذي طلبه الملك من البصرة. فأعلم الملك بذلك، والتفت إلي وأومأ بعينه إلى الحجاب فطاروا عني. ثم أقبل فقال: هاتوا مسألة. وفي المجلس رئيس المعتزلة البغداديين الأحدب وكان أفصح من عندهم وأعلمهم. وعدد كثير من معتزلة البصرة، أقدمهم أبو إسحاق النصيبيني.

فقال الأحدب لبعض تلاميذه: سله: هل لله أن يكلف الخلق ما لا يطيقون؟ كان غرضه تقبيح صورتنا عن الملك. قال: فقلت إن أردتم بالتكليف القول المجرد فقد وجد ذلك إن شاء الله تعالى قال: " قُل كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ الآية[150]. ونحن لا نقدر أن نكون كذلك. وقال تعالى: " أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"[151] الآيتان. فطالبهم بما لا يعلمون. وقال تعالى: " يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ[152]" الآية. فهذا كله أمر بما لا يقدر الخلق عليه. وإن أردتم بالتكليف الذي نعرفه وهو ما يصح فعله وتركه فالكلام متناقض وسؤالك فاسد فلا تستحق جوابا لأنك قلت تكليف والتكليف اقتضاء فعل ما فيه مشقة على المكلف. وما لا يطاق لا يفعل بمشقة، ولا بغير مشقة. فسكت السائل.

---

[150] سورة الإسراء، ٥٠-٥١.

[151] سورة البقرة، ٣١.

[152] سورة ن، ٤٣.

وأخذ في الكلام الأحدب فقال: أيها الرجل سئلت عن كلام مفهوم فطرحته في الاحتمالات، وليس ذلك بجواب. وجوابه إذا سئلت أن تقول: نعم أو لا. قال القاضي: فأحفظني كلامه لما لم يوقرني توقير الشيوخ. وقلت له: يا هذا أنت عائم ورجلاك في الماء. إنما طرحت السؤال في الاحتمالات، وقد بينت لك الوجوه المحتملة. فإن كان معك في المسألة كلام فهاته وإلا تكلم في غيرها. فأعاد الكلام الأول. فقال الملك: هذا الشيخ قد بيّن وجوه الاحتمال وليس لك أن تعيب عليه ولا أن تغالطه، وما جمعتكم إلا لفائدة لا للمهاترة ولما لما لا يليق بالعلماء. ثم التفت الملك إلى القاضي، وقال له: تكلم على المسألة.

فقال القاضي: ما لا يطاق، على ضربين. أحدهما لا يطاق للعجز عنه والآخر لا يطاق للاشتغال عنه بضده. كما يقال: فلان لا يطيق التصرف لاشتغاله بالكتابة. وهذا سبيل الكافر، أنه لا يطيق الإيمان لاشتغاله بالكفر وهو ضده. وأما العاجز فما ورد في الشريعة تكليفه ولو ورد لكان جائزا. وقد أثنى الله تعالى على من سأله ألا يكلفه ما لا يطيق. فقال عز وجلّ: " وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ[١٥٣] " لأن الله تعالى له أن يفعل في ملكه ما يريد.

ثم تجاوز الأحدب الكلام إلى غيره. وتكلم معه القاضي. ومال الملك إلى قوله. ثم التفت الملك فقال: سلوا أبا إسحاق النصيبيني، عن مسألة الرؤية. فأنكر رؤية الله تعالى في الآخرة. وسئل ما حجته؟ فقال: كل شيء يرى بالعين فيجب أن يكون في مقابلة عين الرائي، فالتفت الملك الى القاضي أبي بكر، فقال القاضي أبو بكر: لا يرى بالعين. فعجب الملك من قوله، وقال قاضي القضاة: فإذا لم يرَ بالعين، فبماذا يرى؟ فقال القاضي: يرى بالإدراك الذي يحدثه الله تعالى في العين، وهو البصر، ولو

---

[١٥٣] سورة البقرة،٢٨٤.

كان الشيء يرى بالعين لكان يجب أن ترى كل عين قائمة، وقد علمنا أن الأجهر عينه قائمة ولا يرى شيئاً. فقال النصيبيني: لم أعلم أنه يقول هذا، وظننت أنه يسلّم قولي. وجرى له في هذا المجلس كلام كثير، أعجب به الملك. ولم يزل يحلو له كلامه، ويزحف عن سريره، حتى نزل عنه. وحصل بين يديه. ثم أقبل الملك على قاضي القضاة، فقال له: ألم أقل لك مذهب طبق الأرض، لابد له من ناصر؟ قال القاضي: فلما انقضى المجلس، صحبني بعض الحجّاب الى منزل هيأ لي فيه، جميع ما نحتاج إليه، فسكنته. ولم يزل مع الملك الى أن قدم بغداد، ودفع إليه الملك ابنه، يعلمه مذهب أهل السنة. وألّف له التمهيد. وأخذ عنه إذ ذاك، أبو عبد الرحمن السلمي الصوفي، وجماعة من أهل السنّة، بشيراز. وقرأوا عليه شرح اللمع، قال، وقال الملك لقاضيه: فكرت بأي قتلة أقتله، بجلوسه حيث جلس بغير أمري. وأما الآن، فقد علمت أنه أحق بمكاني مني.[١٥٤]

المبحث الثاني: الكتب الراوية لمناظرات الباقلاني مع النصارى

هناك كثير من الكتب روت مقاطعات من مناظرات الإمام الباقلاني مع النصارى أمام الملك الرومي. ولكن هذه الكتب لم ترو جميع المقاطعات كليا بل روت بعضا منها. وبعض الكتب قد روت ما لا وجدت في غيرها مثل ما روى الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد. وبعض الكتب قد روت بعض الواقعات على حسب التفصيل لتلك الواقعة بازدياد مما روت غيرها. ومن الكتب التي روت مقاطعات مناظرات الإمام الباقلاني ما تلي:

١. **المسائل القسطنطينية**: ألف هذا الكتاب الإمام أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني. وهذا الكتاب يحتوي ما جرت بين الإمام الباقلاني وملك الروم وبطاريك النصارى من المناظرات والمجالسات ولكن هذا الكتاب ليس بموجود حتى الآن مطبوعة أو مخطوطة.

---

[١٥٤] ترتيب المدارك للقاضي عياض.

٢. **المناظرة العجيبة**: يذكر في هذا الكتاب ترجمة الإمام الباقلاني مختصرا وترجمة الخليفة عضد الدولة وسبب مناظرة الباقلاني لملك الروم مع جمع المقاطعات من مناظراته مع النصارى أمام ملك الروم.

٣. **عيون المناظرات**: كتبه السكوني وجملة هذا الكتاب أن السكوني قد جمع ما جرى في العالم من بدءها إلى عصره من المناظرات والمجالسات حيث إنه يذكر فيه ما جرى بين الله سبحانه وتعالى وبين الشياطين من المناظرات. وأيضا يذكر المناظرات التي وقعت بين الإمام الباقلاني وبين المعتزلة وبين العلماء الأشاعرة. وقد جمع أيضا جل ما وقع بين الإمام الباقلاني رحمه الله وبين ملك الروم من المناظرة. ولم يذكرها ولم يجمعها كلا.

٤. **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**: كتب هذا الكتاب القاضي عياض. وهذا الكتاب طبقات المذهب المالكي ذكر فيه تواريخ العلماء المالكية واعتقاداتهم وما وقع فيهم من الواقعات. فذكر عن حياة الإمام الباقلاني مفصلا مع بعض الاختصار. وذكر في ترجمته للباقلاني ما وقعت بينه وبين الملك الرومي من المناظرات العجيبة ولم يذكر جميعها ولم يذكر مناهجه في مناظراته مع النصارى.

٥. **تاريخ بغداد**: وهذا الكتاب مؤلفه الخطيب البغدادي ذكر فيه الواقعات التاريخية التي جرت في بغداد إلى عصره. ويشتمل هذا الكتاب ترجمة الإمام القاضي أبي بكر الباقلاني حيث إن المؤلف يشير إلى نبذة من حياته وحركاته القيمة. وأيضا ذكر مناظراته التي وقعت بينه وبين الملك الرومي.

٦. **الكامل في التاريخ**: مؤلفه المؤرخ ابن الأثير ذكر فيه المقاطعات التاريخية التي جرت في العالم الإسلامي. وهذا أيضا يشتمل ترجمة الإمام الباقلاني حيث يبين بعضا من

حياته وخدماته في العلوم والفنون مع ذكر بعض المقاطعات من مناظراته مع النصارى.

٧. **البداية والنهاية:** كتبه العالم ابن كثير. جمع فيه الواقعات التاريخية من الإسلام. ومع ذلك أتى فيه بترجمة الإمام الباقلاني

المبحث الثالث: مقدمة لمناظرات الباقلاني مع النصارى

المطلب الأول: ترجمة عضد الدولة البويهي

هو فناخسرو الملقب بعضد الدولة ابن الحسن ركن الدولة ابن بويه الديلمي أبو شجاع. وهو أحد المتغلبين على الملك في عهد الدولة العباسية بالعراق في عهد الطائع لله الخليفة العباسي الذي قال فيه السيوطي رحمه الله: "وهو الخليفة المستضعف الضي لم تضعف الخلافة في زمن أحد ما ضعفت في زمنه ولا قوي أمر سلطان ما قوي أمر عضد الدولة."

تولى عضد الدولة ملك فارس ثم الموصل وبلاد الجزيرة وهو أول من خطب له على المنابر بعد الخليفة. وأول من لقب في الإسلام باسم شاهنشاه. كان شديد الهيبة جبارا عسوفا وأديبا وعالما ينظم الشعر.

وهو الذي آل إليه ملك فارس بعد وفاة عمه عماد الدولة سنة ٣٣٨هـ فتلقب بعضد الدولة.

قال السيد أحمد صقر في مقدمته لكتاب إعجاز القرآن: "وكان عضد الدولة أميرا عظيم الهيبة غزير العقل شديد التيقظ كثير الفضل واسع الثقافة مشاركا في العلوم قد تعلم على أحسن المعلمين. فكان يقدر العلم والعلماء ويحب الأدب والأدباء ويؤثر مجالساتهم على

مجالسة الأمراء ويجري الجرايات على الفقهاء والمحدثين والنحاة والمفسرين والشعراء والمتكلمين والأطباء والمهندسين."[١٥٥]

وقال الذهبي: "كان شيعيا جلدا أظهر بالنجف قبرا زعم أنه قبر الإمام علي كرم الله وجهه وبنى عليه المشهد وأقام شعار الرفض ومأتم عاشوراء والاعتزال. وكان يقول الشعر فقال:

ليس شرب الراح إلا في المطر وغناء من جوار في السحر

مبرزات الكأس من مطلعها ساقيات الراح من فاق البشر

عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر"[١٥٦]

قال ابن كثير عن عضد الدولة: "قبحه الله تعالى وقبح شعره وقبح أقواله فإنه اجترأ في أبياته هذه فلم يفلح بعدها."[١٥٧]

كانت له خزانة كتب عظيمة عنى بها عناية يدل عليها وصف المقدسي لها بأنها حجرة على حدة عليها وكيل وخازن ومشرف ولم يبق كتاب صنف إلى وقت عضد الدولة من أنواع العلوم. ومدحه أبو الطيب المتنبي الذي ورد عليه بشيراز في جمادى الأولى سنة ٣٥٤هـ وأنشده قصيدته الهائية التي يقول فيها:

وقد رأيت الملوك قاطبة وسرت حتى رأيت مولاها

ومن مناياهم براحته يأمرها فيهم وينهاها

[١٥٥] مقدمة السيد أحمد صقر لكتاب **إعجاز القرآن** ص ٢١.

[١٥٦] الذهبي، **سير أعلام النبلاء** ج١٦، ص٢٤٩.

[١٥٧] ابن كثير، **البداية والنهاية** ج١١، ص٣٠٠.

أبا شجاع بفارس عضد الد　　دولة فناخسرو وشهنشاها

أساميا لم تزده معرفة　　　　　وإنما لذة ذكرناها[١٥٨]

قيل: إنه لما حضرته الوفاة لم ينطلق لسانه إلا بتلاوة: (ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه)[١٥٩] وأخباره كثيرة جدا يطول ذكرها.

توفي عضد الدولة فناخسرو ببغداد وحمل في تابوت فدفن في مشهد النجف. وكانت ولايته خمس سنين ونصفا. قال الذهبي في نهاية ترجمته: "لقد جرى على الإسلام في المئة الرابعة بلاء شديد بالدولة العبيدية بالمغرب وبالدولة البويهية بالمشرق وبالأعراب القرامطة فالأمر لله تعالى."

وقال في موطن آخر: "وضاع أمر الإسلام بدولة بني بويه وبني عبيد الرافضة وتركوا الجهاد وهاجت نصارى الروم وأخذوا المدائن وقتلوا وسلبوا."[١٦٠]

المطلب الثاني: علاقة الإمام الباقلاني بعضد الدولة

ومن المعلوم من كتب التواريخ أنه كان بين الإمام القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني والخليفة البويهي فناخسرو علاقة أصيلة وصلات وطيدة. وبدأت هذه العلاقة العلمية منذ أن دعا الملك العلماء من العراق ليجلس معه ويشاك في مجالسه العلمية ويجيب للمناظرات والسؤالات من قبل الإسلام.

وقد ذكر بداية هذه العلاقة بعضد الدولة السيد أحمد صقر في مقدمته لكتاب إعجاز القرآن للإمام الباقلاني: "قال الملك عضد الدولة فناخسرو لقاضي قضاته: فانظر إلى موضع

---

[١٥٨] مقدمة السيد أحمد صقر ل**إعجاز القرآن** ص ٢٢.

[١٥٩] سورة الحاقة ٢٨،٢٩.

[١٦٠] الذهبي، **سير أعلام النبلاء** ج١٦، ص٢٣٢.

فيه مناظر يكتب في فيجلب. قال القاضي: أن بالبصرة شيخا وشابا الشاب يعرف بابن الباقلاني. فكتب عضد الدولة يومئذ إلى عامله بالبصرة ليبعثهما إليه وأرسل إليهما خمسة آلاف درهم من الفضة. فلما وصل الكتاب منع الشيخ ولكن الشاب ذهب إلى الملك ليظهر الحق بين يدي الملك" أو كما قال.[١٦١]

يقول الباقلاني: فخرجت إلى شيراز فلما دخلت المدينة استقبلني ابن خفيف في جماعة من الصوفية وأهل السنة وساق الخبر إلى آخر مجلس المناظرة بين يدي الملك عضد الدولة البويهي فناخسرو.

فلما انقضى المجلس وخرج الباقلاني قال الملك لقاضيه: "فكرت بأي قتلة أقتله لجلوسه حيث جلس بغير أمري وأما الآن فقد علمت أنه أحق بمكاني مني."[١٦٢]ثم دفع إليه ابنه صمصام الدولة ليعلمه مذهب أهل السنة والجماعة فعلمه وألف له كتاب التمهيد.

ولم يزل الإمام الباقلاني مع عضد الدولة البويهي إلى أن قدم بغداد. وكان دخوله بغداد سنة ٣٦٧هـ وظل الباقلاني أثيرا لديه حتى إنه جعله رئيس البعثة التي أرسلها إلى ملك الروم سنة ٣٧١هـ.

المطلب الرابع: سبب المناظرة

كان سبب رحلة الإمام أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني إلى الروم أنه لما مات أرمانوس ملك الروم وخلف ولديه باسيل وقسطنطين طمع بعض قواده في ملكه وكان من هؤلاء الطامعين القواد السقلاروس المعروف بورد الرومي فجمع الجمع واستجاش المسلمين من الثغور وكاتب أبا تغلب بن حمدان وواصله وصاهره وأخرج إليه الملكان عسكرا بعد العسكر

[١٦١]تحقيق السيد احمد صقر ل**إعجاز القرآن** ص ٢٣.

[١٦٢]نفس المرجع ص ٢٦.

فكسرهم وجرت بين الفريقين معارك التي انتهت في يوم الأحد لثمان بقين من شعبان سنة ٣٦٨هـ بانهزام السقلاروس. فتوجه بعد هزيمته إلى ديار بكر ونزل بظاهر ميافارقين وأنفذ أخاه قسطنطين إلى عضد الدولة يستحميه ويستنصره على ملكي الروم. فأحسن عضد الدولة استقباله ووثق إليه وتطاول مقام قسطنطين لديه.

فعلم الأخوان بذلك. فأرسلا من قبلهما رسالة في يد رسول يسمى نقفور ويسمى أيضا بأورانوس إلى عضد الدولة ليفسد على ورد خطته وليعرض على الملك أن يسلم إليهما السقلاروس ولو بابتاعه في نظير إطلاق سراح جميع أسرى المسلمين في بلاد الروم.

فمال عضد الدولة إلى ذلك ولكنه لم يسلم إليهما وردا وإنما احتال في قبضه وتأمينه ومن معه وإخراج كل أسير المسلمين في بلاد الروم. ووعد نقفور رسول الملكين خيرا وأخرج معه الإمام الباقلاني جواب الرسالة. وكان الباقلاني رحمه الله تعالى حظيا مقربا لدى عضد الدولة البويهي مع ما اجتمع فيه من صفات الذكاء والدهاء وسعة العلم وحضور البديهة. فأرسل عضد الدولة إليهما الإمام الباقلاني مع الأورانوس بالرسالة وأراد أن تكون هذه الرسالة السياسة مدعومة برسالة دينية يتولاها القاضي حتى يناظر النصارى ويطلعهم على خلل دينهم وضعف حجتهم واضطراب عقيدتهم.

وذهب الإمام القاضي وجرت له أخبار طريفة ومناظرات عديدة عجيبة ظهر فيها الباقلاني فضلا من الله تعالى بقوة حجته على ملك النصارى وقساوستهم. ثم رجع إلى عضد الدولة بمشروع معاهدة مع النصارى ليمضي عليها. ولكن بدا لعضد الدولة أن يظفر في المعاهدة باسترجاع بعض الحصون. فأعاد الرسالة مع أبي إسحاق بن شهرام. ورجع ابن شهرام

بمشروع المعاهدة الأخيرة وصادف اشتداد العلة على عضد الدولة وموته سنة ٣٧٢هـ. ووقع المعاهدة ابنه صمصام الدولة.[١٦٣]

وقد قال ابن الأثير في كتابه البداية والنهاية: إن عضد الدولة البويهي أرسل الإمام الباقلاني إلى ملك الروم في جواب وردت منه. وقال محمود محمد الخضيري والدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة في مقدمتهما لكتاب التمهيد: "إن الغرض الذي رمى إليه عضد الدولة من بعثة الباقالاني إلى بيزنطية هو إرضاء شعور المسلمين بالسعي في تحرير أسرارهم المعذبين لدى الروم." والأقرب إلى الصواب إنما هو ما قاله ابن الأثير في كتابه البداية والنهاية لأنه المؤرخ الفائق وهما ليسا بصاحبي التاريخ وإنهما محققا كتاب الباقلاني فقط ولعلا أخطآ في رأيهما.

المبحث الثالث: مناظرات الإمام الباقلاني مع النصارى بحضرة ملك الروم

أرسل عضد الدولة إلى ملك الروم القاضي أبا بكر الباقلاني ليظهر رفعة الإسلام وقوة الدين وكان الباقلاني مشتهر بين الناس بفصاحة كلامه وبلاغة لسانه وسطوع حججه بين الفرق والأمم. ومن المقصود برسالته إليه أيضا تبيين الخلل والأخطاء في دين النصارى وإظهار التناقض في عقيدتهم. فلما تهيأ القاضي للخروج قال له وزير عضد الدولة أبو القاسم المطهر ابن عبد الله[١٦٤]: قد أخذت الطالع لخروجك[١٦٥] أهي ميمونة أم مشأومة؟

---

[١٦٣] ذكره ابن الأثير في كتابه **الكامل في التاريخ** ج٨، ص٧٠٣، والسيد أحمد صقر في مقدمته ل**كتاب إعجاز القرآن** ص ٢٩.

[١٦٤] أبو القاسم المطهر بن محمد بن عبد الله وزير عضد الدولة وقائد كثير من جيوشه. **الكامل** لابن الأثير ج٨، ص٦٤٦,٦٤٧.

[١٦٥] أي سألت المنجمين عن رحلتك, محمد بن عبد العزيز الخضري. **المناظرة العجيبة**. (الرياض. دار الوطن للنشر، 2000م.) ص ٣٠.

فبين له القاضي فساد هذا الأمر وأن الإسلام بريء من التنجيم وأهله وأن الخير والشر من الله عز وجل لا تعلق لها بالنجوم وأن علم الغيب خاص بالله لا يطلع عليه إلا من أذن الله له بالاطلاع عليه عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول[١٦٦] وإنما وضعت كتب النجوم ليتعيش بها الجاهلون من العامة.

فقال الوزير: أحضروا لي ابن الصوفي[١٦٧] وكان يقدم في هذا الكتاب فلما حضر دعاه الوزير إلى مناظرة القاضي لتصحيح ما أبطله من علمه. فقال ابن الصوفي: ليست المناظرة من شأني ولا أنا قائم بها وأقول: إذا كان من النجوم كذا كان كذا وأما تعليله فهو من علم أهل المنطق وأهل الكلام والذي يتولى المناظرة علم ذلك أبو سليمان المنطقي[١٦٨].

فأحضر أبو سليمان وأمر بمكالمة القاضي الباقلاني فقال له أبو سليمان: هذا القاضي يقول إن البارئ قادر على أنه إذا ركب عشرة أنفس في ذلك المركب الذي هو في دجلة فإذا وصلوا إلى الجانب الآخر يكون الله تعالى زاد فيهم آخر فيكونون أحد عشر ويكون الحادي عشر قد خلقه الله في ذلك الوقت ولو قلت أنا: إنه لا يقدر على ذلك وهذا محال قطعوا لساني وقتلوني وإن أحسنوا إلي كتفوني ورموني في الدجلة وإذا كان الأمر كما ذكرت لم يكن لمناظرتي معه معني فالتفت الوزير إلى القاضي وقال ما تقول أيها القاضي؟

فقال الباقلاني: ليس كلامنا في قدرة الباري تعالى فإنه قادر على كل شيء وإن جحده هذا الجاحد وإنما كلامنا في تأثيرات هذه الكواكب فانتقل إلى ما ذكره لعجزه وقلة معرفته وإلا فأي تعلق للكلام في قدرة الباري في مسألتنا؟ وأنا إن قلت إنه تعالى قادر على ذلك ما أقول إنه تعالى يخرق العادة ويفعل هذا الآن فإذا كان كذلك فقد علم الوزير أن هذا

---

[١٦٦] سورة الجن ٢٦-٢٧.

[١٦٧] هو عالم بالفلك من أهل الرأي كان منجم عضد الدولة. **الأعلام** للزركلي ج٣، ص٣١٩.

[١٦٨] محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني عالم بالمنطق سكن بغداد. **الأعلام** للزركلي ج٦، ص١٧١.

فرار من الزحف. فقال الوزير هو كما ذكرت. فقال المنطقي: المناظرة دربة وتجربة وأنا لا أعرف مناظرات هؤلاء القوم وهم لا يعرفون مواضعاتنا وعباراتنا ولا تحتمل المناظرة بين قوم هذا حالهم. فقال الوزير قبلنا اعتذارك والحق أبلج ثم التفت الوزير إلى الباقلاني وقال له سر في رعاية الله.[١٦٩]

قال القاضي: فخرجت فدخلنا بلاد الروم حتى وصلنا إلى ملك الروم بالقسطنطينية وأخبر الملك بقدومنا فأرسل إلينا من يلقانا وقال: لا تدخلوا على الملك بعمائمكم حتى تنزعوها إلا أن تكون منادل لطاف وحتى تنزعوا أخفافكم.

قال القاضي: فقلت لا أفعل ولا أدخل إلا على ما أنا عليه من الزي واللباس فإن رضيتم وإلا فخذوا الكتب تقرؤونها وترسلون بجوابها وأعود بها. فأخبر بذلك الملك فقال أريد معرفة سبب هذا ووجه امتناعه مما مضى عليه رسمي مع الرسل.

قال القاضي: فقلت أنا رجل من أهل العلم من المسلمين ما تحبونه منا ذل ولا صغار والله تعالى قد رفعنا بالإسلام وأيضا فإن من شأن الملوك إذا بعثوا رسلهم إلى ملك آخر أن يرفعوا أقدارهم ولا يقصدوا إذلالهم لا سيما إذا كان الرسول من أهل العلم ووضع قدره انهدام جاهه عند الله تعالى وعند المسلمن وليس محل العلماء محل العامة الذين يبالون وإن فعلت ما يقولون عيرني المسلمون وطعنوا علي في ديني وسقطت من أعينهم فإن أراد مني الدخول كما أدخل على الخليفة وعلى الملك الذي هو ملك الإسلام وإن كره فيقرأ كتابنا ويرد الجواب ويردنا إلى صاحبنا ولا حاجة لنا في اللقاء.

---

[١٦٩] **ترتيب المدارك** ج٧، ص٥٨. **وعيون المناظرات** ٢٤٥.

فأخبر الملك بجوابه فقال: "دعوه يدخل ومن معه كما يشتهون"[١٧٠]. وعرف الملك منزلة هذا الرسول وما أوتيه من سعة العلم وقوة الشكيمة[١٧١] وحضور البديهة وأنه مقدم في المسلمين ذو شأن عظيم بينهم.[١٧٢]

وعلم الملك أن القاضي لا يسجد له كما جرى رسم الرعية أن تقبل الأرض بين يدي ملوكها فاحتال لكي يوقع القاضي في شيء من ذلك فوضع سريره وراء باب لطيف لا يمكن أن يدخل معه أحد إلا راكعا حتى يدخل القاضي عليه على تلك الحال فيكون عوضا عن سجوده وتقبيله الأرض بين يديه.

فلما جلس الملك على سريره أمر بإدخال القاضي من ذلك الباب فلما رآه القاضي تفكر وعلم أن في الأمر حيلة فأدار ظهره وحنى رأسه ونصب ظهره ثم أدار وجهه إلى الملك حينئذ فعجب الملك من فطنته ووقعت له في قلبه هيبة عظيمة.[١٧٣]

يقول القاضي: فدخلت عليه بنفيس ثيابي وعلي طيلساني[١٧٤] وعمامتي وفي رجلي الخفان وقعدت فوق السرير على كرسي عظيم فلما وقع بصره علي أدناني ورفعني فوق الكل وابتدأني بشأن كسوتي. فقلت: بهذا الزي ندخل على ملكنا الأعظم جل جلاله وندخل على سلطاننا الأكرم الذي أمرنا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بطاعته فما ينكرون علي

---

[١٧٠] وفي رواية الإسكافي في كتابه عيون المناظرات " دعوه يدخل كيف يشاء." ص ٢٤٦.

[١٧١] الشكيمة قوة القلب والانتصار من الظلم والشكيمة الحديدة المعترضة في فم الفرس من اللجام.

[١٧٢] **ترتيب المدارك** ج٧، ص٦٠.

[١٧٣] قد ذكر هذه الواقعة كثير من الرواة ولكن هذه ليسر موجودة في عيون المناظرات. هذه موجودة في تاريخ بغداد ج٥، ص٣٧٩، و**تبيين كذب المفتري** ٢١٧، و**ترتيب المدارك** ج٧، ص٦١،٦٢، و**سير أعلام النبلاء** ج١٧، ص١٩١، و**البداية والنهاية** ج١١، ص٣٥٠، و ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**. (بيروت: دار صادر، 1358هـ.) ج٧، ص٢٦٥، والأنساب ج٢، ص٥١،٥٢.

[١٧٤] الطيلسان ويقال الطالسان ضرب من الأوحشة يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن خال من التفصيل والخياطة وهو فارسي معرب جمعه طيالس وطيالسة.

هذا وأنا رجل من علماء المسلمين فإن دخلت عليك بغير هيئتي ورجعت إلى حكمك أهنت العلم ونفسي وذهب من المسلمين جاهي.

فقال الملك لترجمانه: قل له: قد قبلنا عذرك ورفعت منزلك وليس محلك عندنا مثل محل سائر الرسل وإنما محلك عندنا محل الأبرار والأخيار.[١٧٥]

يقول القاضي: وأديت الرسالة فقرأ الكتاب وكان فيها: وإني قد بعثت إليك أهل الأرض تعظيما لك وتكرمة فقال لي: ما معنى هذا الكلام؟ فقلت إني رجل أتكلم على حدوث العالم وإثبات محدثه وصفاته الواجبة له والمستحيلة عليه والجائزة في أحكامه وأتكلم على الوحدانية وأرد على البراهمة[١٧٦] والمنانية[١٧٧] والمجوس واليهود والنصارى وأبين صحة ما أدعيه من ناحية العقل وما يتعلق به من السمع والتوفيق وأبين ذلك كله بالبرهان اللائح وأرد على اثنين والسبعين فرقة وأنصر حقي.[١٧٨]

فقال لي يا مسلم اقعد عندي وأقاسمك في مملكتي قلت كنت أفعل ذلك غير أني محجور علي من جهة شرعي.[١٧٩]

---

[١٧٥] يوجد إلى هذا في ترتيب المدارك ج٧، ص٦٥١، وفي عيون المناظرات بإيجاز هذا.

[١٧٦] هم طائفة من اليهود لا يجوزون على الله تعالى بعث الأنبياء ويحومون لحوم الحيوان. إنهم سموا على ظنهم لانتسابهم إلى إبراهيم عليه السلام وذلك خطأ فإن هؤلاء هم المخصصون بنفي النبوات أصلا ورأسا فكيف يقولون بإبراهم عليه السلام والقوم الذين اعتقدوا نبوة إبراهيم عليه السلام من أهل الهيد فهم الثنوية وهؤلاء البراهمة إنما انتسبوا إلى رجل منهم يقال له: براهم، الشهرستاني الملل والنحل ج٢، ص٢٥٠.

[١٧٧] هم المانوية طائفة من الثنوية أصحاب ماني بن فاتك الحكيم الذي ظهر في زمان سابو بن أردشير وقتله بهرام بن هرمز بن سابور وذلك بعد عيس ابن مريم عليه السلام أحدث دينا بين المجوسية والنصرانية وكان يقول بنبوة المسيح عيسى عليه السلام ولا يقول بنبوة موسى عليه السلام، الشهرستاني في الملل والنحل ج١، ص٤٤.

[١٧٨] هذه الرواية للإسكافي في عيون المناظرات ص٢٤٧، هي أتم من رواية القاضي عياض في كتابه ترتيب المدارك.

[١٧٩] هذه من رواية الإسكافي في كتابه عيون المناظرات وهي أتم كما قال محمد عبد العزيز الخضيري في كتابه المناظرة العجيبة ص ٣١.

قال الملك: أنا أشتهي أن أعرف ذلك وأسمعه كما ذكره عنك. فقال القاضي الباقلاني: إذا أذن الملك. فقال الملك: انزلوا حيث أعددت لكم ويكون بعد هذا الاجتماع.

يقول القاضي: فنهضنا إلى موضع أعد لنا.

ويقال أيضا: إن الملك أحضر بين يديه آلة الطرب المسماة بالأرغل ليستفز عقله بها وهي آلة لا يسمعها أحد قط إلا طرب شاء أو أبى. فلما سمعه الباقلاني خاف على نفسه أن يظهر منه حركة ناقصة بحضرة الملك فجعل لا يألو جهدا أن جرح رجله حتى خرج منها الدم الكثير فاشتغل بالألم عن الطرب ولم يظهر عليه شيء من النقص والخفة فعجب الملك من ذلك ثم إنه اكتشف الأمر فإذا هو قد جرح نفسه بما أشغله عن الطرب فتحقق الملك وفور همته وعلو عزيمته.[١٨٠]

قال القاضي: فلما كان يوم الأحد بعث الملك في طلبي وقال: من شأن الرسول حضور المائدة فنحب أن تجيب إلى طعامنا ولا تنقص كل رسومنا. فقلت لرسوله: أنا من علماء المسلمين ولست كالرسل من سائر الجند وغيرهم الذين لا يعرفون ما يجب في هذه المواطن عليهم والملك يعلم أن العلماء لا يعذرون أن يدخلوا في هذه الأشياء وهم يعلمون وأخشى أن يكون على مائدته لحوم الخنازير وما حرمه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم على المسلمين.

فذهب الترجمان وعاد إلي وقال: يقول لك الملك: ليس على مائدتي ولا في شيء من طعامي شيء تكرهه وقد استحسنت ما أتيت به وما أنت عندنا كسائر الرسل بل أعظم وما كرهت من لحوم الخنازير إنما هو خارج عن حضرتي بيني وبينه حجاب.

---

[١٨٠] ابن كثير، البداية والنهاية، ج١١، ص٣٥٠.

قال القاضي: فمضيت على كل حال وجلست وقدم الطعام ومددت يدي وأوهمت الأكل ولم آكل منه شيئا على أني لم أر على مائدته ما يكره.

فلما فرغ من الطعام بخر المجلس وعطر.[١٨١]

ثم قال: هذا الذي تدعونه في معجزات نبيكم من انشقاق القمر كيف هو عندكم؟ قلت: هو صحيح عندنا وانشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأى الناس ذلك وإنما رآه الحاضرون ومن اتفق نظره إليه في تلك الحال.

فقال الملك: وكيف ولم يره جميع الناس؟ قلت: لأن الناس لم يكونوا على أهبة ووعد لشقوقه وحضوره. فقال: وهذا القمر بينكم وبينه نسبة أو قرابة لأي شيء لم تعرفه الروم وغيرها من سائر الناس؟ وإنما رأيتموه أنتم خاصة وقد علمتم أنه في السماء غير مختص بكم؟

فقلت: فهذه المائدة بينكم وبينها نسبة وأنتم رأيتموها دون اليهود والمجوس والبراهمة وأهل الإلحاد وخاصة يونان جيرانكم فإنهم كلهم منكرون لهذا الشأن وأنتم رأيتموها دون غيركم؟؟

فتحير الملك وقال في كلامه: سبحان الله.[١٨٢]

هذا رواية القاضي عياض في كتابه ترتيب المدارك. ولكن في رواية السكوني في كتابه عيون المناظرات:

ثم ذكر مسائل سأله عنها فأجابه بعين ذلك في المسيح فقال له هل كانت بينكم وبين القمر صدافة ومعرفة كيف رأيتموه ولم يره غيركم يعني في انشقاقه آية للنبي صلى الله عليه وسلم قال وقد علمتم أنه في السماء غير مختص بكم فأجابه القاضي هل كانت بينكم

---

[١٨١] ترتيب المدارك ج٧، ص٦٣،٦٢.

[١٨٢] نفس المرجع ج٧، ص٣٥،٦٤.

وبين المائدة صداقة ومعرفة واليهود حاضرة تحلف أنها لم تكن فما كان جوابكم عن هذه فهو جوابنا عن القمر فانقطع ما بيد ملك الروم فيما أورد من سؤال.

فدعا الملك له فلسفيا قد لبس الشعر حتى صار كالخيزير بعد انقطاع ملك الروم في الكلام المتقدم فكلمه. وفي رواية آخر: وأمر الملك بإحضار فلان القسيس ليكلمني وقال المملك: نحن لا نطيقه لأن أصحابه قال: ما في مملكتي مثله ولا للمسلمين في عصره مثله.

قال القاضي: ولم أشعر إذ جاؤوا برجل كالذئب أشقر الشعر مسبله فقعد وحكيت له المسألة. فقال القاضي: فقلت له: ألست تزعم أن الأرض كرية فقال: نعم قلت له: أفلا تنكر أن يرى في هذا الإقليم ما لا يرى في إقليم آخر كالكسوف يرى في موضع دون موضع وكواكب السماء ترى في موضع دون غيره أم تقول إن الكسوف إذا وقع رآه أهل الأرض كلهم.

قال القسيس: بل لا يراه إلا من كان في محاذاته.

قلت: فلا تنكر انشقاق القمر في إقليم دون إقليم إذا كان في ناحية لا يراه إلا أهل تلك الناحية ومن تأهب للنظر له فأما من أعرض عنه ومن كان في الأمكنة التي لا يرى القمر منها فلا يراه. وفي رواية السكوني في عيون المناظرات مزيد وهو:

فلما أقر له بهذا قال له أصحابه دعوناك لترد عليه لا لترد علينا وتنصره فقال لهم يجب أن ينصر الإنسان الحق.[١٨٣]

فقال: هو كما قلت ما يدفعك عنه دافع وإنما الكلام في الرواة الذين نقلوه فأما الطعن في غير هذا الوجه فليس بصحيح. فقال الملك: وكيف يطعن في النقلة؟ فقال

[١٨٣] هذا ما أورده تلميذ القاضي أبو عبد الله الأزدي في كتابه.

القسيس: شبه هذا من الآيات إذا صح وجب أن ينقله الجم الغفير حتى يتصل بنا العلم ولو كان كذلك لوقع عندنا العلم الضروري به دل على أن الخبر مفتعل باطل.

فالتفت الملك وقال: هات الجواب.

قال القاضي: يلزمه في نزول المائدة ما لزمني في انشقاق القمر ويقال له: لو كان نزول المائدة صحيحا لوجب أن ينقله العدد الكثير فلا يبقى يهودي ولا نصراني ولا ثنوي[١٨٤] إلا وهو يعلم هذا بالضرورة دل على أن الخبر كذب فبهت النصراني والملك ومن ضمه المجلس. وانفصل المجلس على هذا.[١٨٥]

قال القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني: ثم سألني في مجلس ثان. فقال: ما تقولون في المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام؟

قلت:روح الله تعالى وكلمته وعبده ونبيه ورسوله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له: كن فيكون. وتلوت عليه النص من القرآن الكريم: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)[١٨٦]

فقال: يا مسلم، تقولون المسيح عبد؟

قلت: نعم، كذا نقول وبه ندين.

قال: ولا تقولون إنه ابن الله تعالى.

---

[١٨٤] هو المنسوب إلى مذهب الثنوية وهو مذهب يقال بإلهين اثنين إله للخير وإله للشر ويرمز لهما بالنور والظلام وهما أزليان قديمان بخلاف المجوس فإنهم قالوا بحدوث الظلام وذكروا سبب حدوثه. وهم طوائف فمنهم المانوية أو المنانية والمزدكية والديصانية والمرقيونية والكينوية والصيامية والتناسخية، الشهرستاني، الملل والنحل ج١، ص٢٢٤,٢٢٥.

[١٨٥] ترتيب المدارك ج٧، ص٦٥،٦٤.

[١٨٦] سورة آل عمران ٥٩.

قلت: معاذ الله (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ)[١٨٧] إنكم لتقولون قولا عظيما فإذا جعلتم المسيح ابن الله فمن كان أبوه وأخوه وجده وعمه وخاله؟ وعددت عليه الأقارب. فتحير.

وقال: يا مسلم، العبد يخلق ويحيي ويميت ويبرئ الأكمه والأبرص؟

قلت: لا يقدر على ذلك وإنما ذلك كله من فعل الله تعالى.

قال: وكيف يكون المسيح عبدا لله تعالى وخلقا من خلقه وقد أتى بهذه الآيات وفعل ذلك كله؟

قلت: معاذ الله، ما أحيى المسيح الموتى ولا أبرأ الأكمه ولا الأبرص. فتحير الملك وقل بصره.

وقال: يا مسلم، تنكر هذا مع اشتهاره في الخلق وأخذ الناس له بالقبول؟

قلت: ما قال أحد من أهل الفقه والمعرفة أن الأنبياء يفعلون المعجزات من ذاتهم وإنما هو شيء يفعله الله تعالى على أيديهم تصديقا لهم يجري مجرى الشهادة.

قال الملك: قد حضر عند جماعة من أولاد نبيكم والمشهورين فيكم وقالوا: إن ذلك في كتابكم.

قلت: أيها الملك، في كتابنا أن ذلك كله بإذن الله تعالى وتلوت عليه من نصوص القرآن الكريم في المسيح: (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ

---

[١٨٧] سورة المؤمنون ٩١.

كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ)[١٨٨] وقوله: (وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)[١٨٩]

وقلت: إنما فعل المسيح ذلك كله بإذن الله وحده لا شريك له لا من ذات المسيح عليه السلام ولو كان المسيح يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص من ذاته وقوته لجاز أن يقال: إن موسى فلق البحر وأخرج يده بيضاء من غير سوء من ذاته وليست معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أفعالهم دون إرادة الخالق. فلما لم يجز هذا لم يجز أن تسند المعجزات التي ظهرت على يد المسيح إليه.[١٩٠]

ثم قال الملك: سائر الأنبياء كلهم من آدم إلى من بعده كانوا يتضرعون للمسيح عليه السلام حتى يفعل ما يبطلون.

قلت: أفي لسان اليهود عظم لا يقدرون أن يقولوا: أن المسيح كان يتضرع إلى موسى وكل صاحب نبي يقول: إن المسيح كان يتضرع إلى نبيه فلا فرق في الموضعين في الدعوى.[١٩١]

ثم سأل أحد أساقفتهم القاضي فقال: ما فعلت زوجة نبيكم؟ وما كان أمرها بما رميت به من الإفك؟

---

[١٨٨] سورة المائدة ١١٠.

[١٨٩] سورة آل عمران ٤٩.

[١٩٠] ترتيب المدارك ج٧، ص٦٦،٦٥.

[١٩١] نفس المرجع ج٧، ص٦٦.

فقال القاضي أبو بكر الباقلاني مجيبا على البديهة: هما أمرأتان ذكرتا بسوء مريم وعائشة رضي الله عنهما فبرأهما الله عز وجل وكانت عائشة ذات زوج ولم تأت بولد وأتت مريم بولد ولم يكن لها زوج.

والمراد بهذا القول للإمام الباقلاني أن عائشة أولى بالبراءة من مريم وكلاهما بريئة مما قيل فيهما فإن تطرق في الذهن الفاسد احتمال ريبة في هذا فهو إلى مريم أسرع. وهما بحمد الله منزهتان مبرأتان في السماء بوحي الله عز وجل عليهما السلام.[١٩٢]

وفي رواية أخرى: وقيل أن طاغية الروم عرض للقاضي أبي بكر الباقلاني يوما بحديث الإفك لقصد التوبيخ به فقال له القاضي هما اثنتان قيل فيهما ما قيل زوج نبينا ومريم ابنة عمران وكل قد برأها الله سبحانه مما رميت به. فانقطع الطاغية ولم يجد جوابا.[١٩٣]

قال القاضي: ثم تكلمنا في مجلس ثالث. فقلت للملك: لم اتحد اللاهوت بالناسوت؟[١٩٤] قال الملك: أراد أن ينجي الناس من الهلاك. قلت: وهل درى بأنه يقتل ويصلب ويفعل به ذلك؟ فإن قلت: إنه لم يدر ما أراد اليهود به بطل أن يكون إلها وإذا بطل أن يكون إلها بطل أن يكون ابنا. وإن قلت: إنه درى ودخل في هذا الأمر على بصيرة فليس بحكيم لأن الحكمة تمنع من التعرض للبلاء. فبهت الملك وتحير وكان آخر مجلس لي معه.[١٩٥]

---

[١٩٢] تبيين كذب المفتري ص ٢١٩، عيون المناظرات ص ٢٤٩، سير أعلام النبلاء ج١٧، ص١٩٢، البداية والنهاية ج١١، ص٣٥٠ وهذا اللفظ لابن كثير.

[١٩٣] هذا مما رواه الحافظ الإمام محدث الشام ابن عساكر.

[١٩٤] الناسوت الطبيعة البشرية ويقابله اللاهوت بمعنى الألوهية. والنصارى يزعمون كذبا أن المسيح الإله ظهر للناس بصورة بشرية وقد تمازجت فيه الطبيعتان: الإلهية والبشرية.

[١٩٥] ترتيب المدارك ج٧، ص٦٧.

ثم إن الملك وعد القاضي أبا بكر الباقلاني الاجتماع معه في محفل من محافل النصرانية ليوم سماه. فحضر أبو بكر الباقلاني رحمه الله تعالى. وقد احتفل المجلس وبولغ في زينته فأدناه الملك وألطف سؤاله وأجلسه على كرسي دون سريره بقليل والملك في أبهته[١٩٦] وخاصته عليه التاج والدرية ورجال مملكته على مراتبهم.

فبينما هم على ذلك إذا جاء البطرك[١٩٧] أي قيم ديانتهم وقد أوزع إليه الملك بالتحفظ من هذا الداهية. وقال له: تحفظ منه وأحضر ذهنك فلعلك تتعلق منه بسقطة أو تعثر منه على زلة تقضي بفضلنا عليه.

فجاء البطرك في آخر الناس وحوله أتباعه يتلون الأناجيل ويبخرون بعود رطب وميعة مريم في زي حسن. فلما توسط المجلس قام الملك ورجاله تعظيما له فقضوا حقوقه ومسحوا أطرافه وأجلسه الملك إلى جنبه وأقبل على القاضي أبي بكر الباقلاني فقال: يا فقيه، هذا البطرك قيم الديانة وولي النحلة.

فسلم القاضي الباقلاني عليه أحفل سلام وسأله أحفل سؤال، وقال له: كيف الأهل والولد؟ فعظم قوله هذا عليه وعلى جميعهم وتغيروا له وصلبوا وجوههم وأنكروا قول أبي بكر عليه. فقال القاضي: وما أنكرتم من كلامي؟ فقال الملك: إننا ننزه هؤلاء عن الصحابة والولد. فقال القاضي: يا هؤلاء، تستعظمون لهذا الإنسان اتخاذ الصحابة والولد وتبرؤون عن ذلك ولا تستعظمونه لربكم عز وجهه فتضيفون ذلك إليه؟ سوأة لهذا الرأي ما أبين غلطه فسقط في أيديهم وبهتوا وانكسروا ولم يحيروا جوابا وتداخلتهم له هيبة عظيمة.[١٩٨]

---

[١٩٦] الأبهة: العظمة.

[١٩٧] البطرك: مقدم النصارى ورئيس رؤساء الأساقفة وجمعه بطارك وبطاركة.

[١٩٨] ترتيب المدارك ج٧، ص٦٧،٦٨، تبيين كذب المفتري ص ٢١٨،٢١٩، وسير أعلام النبلاء ج١٧، ص١٩١.

وفي رواية أخرى للإسكافي في عيون المناظرات وهي باختصار ما في ترتيب المدارك: وقيل إنه دخل عنده يوما فرأى عنده بعض بطارقته ورهبانيته فقال مستهزأ به كيف أنت وكيف الأهل والأولاد؟ فتعجب الرومي منه وقال ذكر من أرسلك في كتاب الرسالة انك لسان أهل الأرض ومتقدم على علماء الامة أما علمت أنا ننزه هؤلاء عن الأهل والأولاد. فقال القاضي أبو بكر الباقلاني أنتم لا تنزهزون الله سبحانه وتعالى عن الأهل والأولاد وتنزهونهم.[١٩٩] ثم إن الملك قال للبطرك: ما ترى في أمر هذا الشيطان؟

قال البطرك: تقضي حاجته وتلاطف صاحبه وتبعث بالهدايا إليه وتخرج هذا العراقي عن بلدك من يومك إن قدرت وإلا لم آمن الفتنة به على النصرانية. ففعل الملك ذلك وأحسن جواب عضد الدولة وهداياه وعجل تسريح القاضي أبي بكر الباقلاني رحمه الله تعالى وبعث معه عدة من أسارى المسلمين والمصاحف ووكل بالقاضي من جنده من يحفطه حتى يصل إلى مأمنه.[٢٠٠]

الفصل الثالث: منهج الإمام الباقلاني في مناظراته مع النصارى

إن للإمام الباقلاني أبي بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني مناهج وأوصاف مختصة به في مناظراته مع النصارى خصوصا في حضرة ملك الروم. وهذه الأوصاف تظهر بينة من بين روايته نفسه في كتابه المسائل القسطنطيني التي أوردها كثير من المؤلفين في كتبهم مثل ابن عساكر وعيون المناظرات والقاضي عياض وغيرهم.

ومن أهم أوصاف الإمام الباقلاني في المناظرات مع النصارى أنه صاحب التواضع والتضرع في موضع التواضع وأوقاته. وهذا التواضع يظهر حيث إنه يستعمل نداء الملك الرومي النصراني أثناء محاورته له بقوله: "أيها الملك". وهذا الوصف من التواضع يظهر أيضا

---

[١٩٩] **عيون المناظرات** ص ٢٤٨.

[٢٠٠] **ترتيب المدارك** ج٧، ص٦٩.

في قوله للملك "أنا رجل من علماء المسلمين". فقوله "رجل" يشير إلى أنه حقير واحد من علماء المسلمين.

وكذلك الإمام الباقلاني يظهر تواضعه في قوله "فإن أراد مني الدخول دخلت على الخليفة". ومن هذا القول يتبين أن القاضي أبا بكر الباقلاني يكرم ويحترم بشأن ملك الروم كما يحترم خليفة المسلمين وإن كان الملك نصرانيا أو كان أحدا من أعداء المسلمين. وكلمة "الخليفة" إنما تستعمل لأمراء المسلمين تعظيما لهم، بل استعمل الباقلاني هذا الكلمة ليشير به إلى ملك الروم النصراني. ومع ذلك يقر الإمام أيضا بأنه يفعل ما يأمره الملك. وإلى هذا يشير قوله "فإن أراد مني الدخول أدخل".

ومن علامة تواضعه أيضا أنه استأذن الملك الرومي ورجا أو انتظر إذن الملك للحوار معه والمناظرة لديه. ويشير إليه جوابه لقول ملك الروم "أنا أشتهي أن أعرف ذلك وأسمعه كما ذكره عنك": "إذا أذن الملك."[٢٠١]

ومع ذلك كله من التواضع والتضرع أن الإمام الباقلاني لم ينس أن يعظم ويعاني عظمة خليفة المسلمين والمسلمين والإسلام حيث إنه منع من أن يدخل إلى حضرة ملك الروم نازعا أخفافه وزيه ولباسه وعمامته كما أمره الملك الرومي أن يدخل لأن في دخوله هكذا اعتراف بأمر الأعداء ووضع شعائر الإسلام والمسلمين أمام الأعداء. وبهذا كان يعظم شعائر الإسلام والمسلمين حيث قال الله تعالى في قرآنه المجيد: (ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ)[٢٠٢].

ومن الجدير بالذكر أن الإمام الباقلاني رحمه الله تعالى قد حاور مع ملك الروم بلا حائل بغير إخفاء أي سر في قلبه كما يفعل بعض من المناظرين في العصر الراهن من حيث

[٢٠١] **البداية والنهاية** ج١١، ص٣٥٠.

[٢٠٢] سورة الحج، ٣٢.

إنه جهر عذر عدم دخوله أمام الملك كما أمره أي في غير زيه وعمامته وقال مخبرا اعتذاره لدى الملك: "بهذا الزي ندخل على ملكنا الأعظم جل جلاله وندخل على سلطاننا الأكرم الذي أمرنا الله سبحانه وتعالى ورسوله صلاة الله وسلامه عليه بطاعته فما ينكرون على هذا وأنا رجل من علماء المسلمين فإن دخلت عليك بغير هيئتي ورجعت إلى حكمتك أهنت العلم ونفسي وذهب من المسلمين جاهي."[٢٠٣]

وقد بين القاضي أبو بكر الباقلاني للملك سيرته الذاتية خبراته في مجال المناظرات ووجهة نظره عن جميع الأديان والفرق حيث قال: "إني رجل أتكلم على حدوث العالم وإثبات محدثه وصفاته الواجبة له والمستحيلة عليه والجائزة في أحكامه وأتكلم على الوحدانية وأرد على البراهمة والمنانية والمجوس واليهود والنصارى وأبين صحة ما أدعيه من ناحية العقل وما يتعلق به من السمع والتوفيق وأبين ذلك كله بالبرهان اللائح وأرد على الاثنتين والسبعين فرقة وأنصر حقي."[٢٠٤]

ومن مناهج الإمام الباقلاني أنه استعمل الآيات القرآنية خلال مناظراته مع النصارى أمام الملك الرومي لإظهار نظرية الإسلام حول بعض المسائل المختلفة بين المسلمين والنصارى مثل إلهية عيسى عليه السلا. فقد قالت النصارى إن المسيح عيسى عليه السلام هو إله يعبد وليس بإنسان أو مخلوق من الله سبحانه وتعالى أو قالوا إنه عليه السلام ابن الله كما قال الله تعالى في قرآنه الكريم (وقالت النصارى المسيح ابن الله)[٢٠٥]. وقال المسلون إن المسيح عيسى عليه السلام ليس بإله إنما هو مخلوق من عند الله سبحانه وتعالى.

---

[٢٠٣] **ترتيب المدارك** ج٧، ص٦٩.

[٢٠٤] الإسكافي، **عيون المناظرات** ص ٢٤٧.

[٢٠٥] سورة التوبة، ٣٠.

فسأل الملك عن هذه المسألة ما يقول المسلمون في المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام؟ فأجاب القاضي أبو بكر: روح الله تعالى وكلمته وعبده ونبيه ورسوله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له: كن فيكون. وتلا على الملك النص من القرآن الكريم: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)[٢٠٦]

قال القاضي أيضا إن المسيح عليه السلام هو عبد الله وبه يدين المسلمون واستدل عليه قول الله تعالى في قرآنه الكريم: (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ)[٢٠٧]

فاستدل الملك أيضا على إلهية عيسى عليه السلام بما وقع من عنده عليه السلام من المعجزات مثل إبراءه الأكمه والأبرص وإحياء الأموات وقال وقد وقعت هذه الوقائع كلها منه فيكون إلها لا خلقا من خلق الإله. فقال الباقلاني إن ما قاله الملك من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الأموات ليس بدليل على إلهية عيسى عليه السلام بل إنما هو دليل لعبوديته لله سبحانه وتعالى حيث قال الله في قرآنه الكريم: (إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِىءُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ)[٢٠٨] وقال أيضا: (وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِىءُ الأكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم

[٢٠٦] سورة آل عمران ٥٩.

[٢٠٧] سورة المؤمنون ٩١.

[٢٠٨] سورة المائدة ١١٠.

بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)[٢٠٩] وإنما فعله إنما فعل المسيح ذلك كله بإذن الله وحده لا شريك له لا من ذات المسيح عليه السلام.

وفي هذه الواقعة وجه المعارضة التي هي أمر خاص في المناظرة. وهي إقامة ما استدل به الخصم على خلاف ما ذكره. فالملك الرومي استدل على إلهية عيسى عليه السلام بما وقع من عنده عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الأموات والإنباء بما تأكل الناس وما يدخرون في بيوتهم. ولكن الإمام الباقلاني رحمه الله تعالى أقام هذا الدليل على خلاف ما ذكره الملك الرومي. والمراد به أن هذا الدليل من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الأموات إنما هو دليل لعدم إلهية عيسى عليه السلام وليس بدليل له لإن إبراءه الأكمه والأبرص وإحياءه الأموات إنما وقع من عند الله وقد وقع في عيسى عليه السلام بإذن الله تعالى فقط.

ومن الجدير بالذكر أن الإمام الباقلاني احترز أثناء مناظراته مع النصارى أمام الملك الرومي احترز عن التطويل في الكلام لأن التطويل في الكلام يؤدي إلى الملل والإملال للسامعين. ومع ذلك أنه لم يختصر ولم يقصر في الكلام أيضا لئلا يخل بالفهم للسامعين الكرام من النصارى. وكذلك لم يستعمل الألفاظ الغريبة والجمل المحتملة للمعنيين بلا قرينة معينة للمراد لأن هذين السبيلين قد يؤدي إلى خلل الفهم. وهذه الأوصاف المذكورة هنا من أوصاف المناظرين الخاصة الفائقين فيها كما ذكره وقار علي ابن مختار علي في كتابه المناظرة الرشيدية.

وقد احترز الإمام الباقلاني في مناظراته أمام ملك الروم عما لا دخل له في المقصود لأن الكلام فيه يخرج الكلام عن الضبط والحدود. وظاهر أن الإمام الباقلاني لم يسأل الملك أو الوزير أو البطاريك من النصارى عن أحوالهم الخيرية والشرية وعن أحوالهم الداخلية

---

[٢٠٩] سورة آل عمران ٤٩.

والخارجية وعن أحوال أولادهم وأهاليهم لأن هذه المسائل كلها غير مقصودة في المناظرة مع الملك الروم وبطاريك النصاى.

الخاتمة

ففي الجملة إن الباحث قد وجد أن الإمام القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني قد ساهم عديدا من المساهمات في مجال علم مقارنة الأديان حيث إنه اشتهر في علم الكلام وأصول الدين وأصول الفقه ونحوها من العلوم وأن من مساهماته القيمة في مجال مقارنة الأديان مصنفاته في ذكر الأديان المختلفة ومناظراته خلاف النصارى خصوصا مناظرته أمام ملك الروم وأن للإمام الباقلاني وجه خاص أو منهج خاص في المناظرات والمجالسات والكتابات عن الموضوعات حول العقائد الدينية والأحكام الدينية.

وفي الباب الأول قد أشار الباحث إلى حياة الإمام الباقلاني رحمه الله تعالى واسمه ونسبه وأسرته ورحلاته العلمية وأساتيذه ومهارته في العلموم والفنون وتعليمه وتلاميذه مع ذكر مذهبه في الفقه ومذهبه في العقيدة. وذكر فيه أيضا آراءه الكلامية والبيئة السياسية التي عاش فيها وهي سياسة الدولة العباسية والدول الأخرى مثل بني بويه وغيرهم. واشتمل هذا الباب على وفاة الإمام الباقلاني وآراء العلماء فيه. وأضاف الباحث إلى هذا نبذة عن مصنفاته ومؤلفاته القيمة الموجودة في الكتب التاريخية حسب تطلعه عليها.

والباب الثاني ركز على مساهمات الإمام الباقلاني في علم مقارنة الأديان من المؤلفات والمصنفات والمناظرات. ولم يجد الباحث إلا كتبا قليلة الذي يظهر الإمام آراءه عن الديانات المختلفة حسب اطلاعه في صفحات التاريخ. وذكر أهم تصانيفه مثل كتاب التمهيد وكتاب

إعجاز القرآن الموجودة الآن في العالم البحثي مع بيان ما فيها من الآراء والمعتقدات الدينية وآراء الإمام في هذه المعتقدات.

والباب الأخير احتوى مناظرة الإمام الباقلاني أمام ملك الروم ومناهجه فيها. ذكر الباحث في أول هذا الباب نبذة عن فن المناظرة وتعريفها وتطوها وأمور لا بد للمناظر مع بيان دور هذا الفن في علم مقارنة الأديان. والباب أيضا يشير إلى المناظرات التي وقعت من الإمام الباقلاني مع غير النصارى من العلماء والفرق الإسلامية في علم الكلام. وذكر الباحث تاريخ مناظرة الإمام الباقلاني لملك الروم وبطاريك النصارى لإظهار الحق بينهم. وجمع فيه مقاطعات مناظراته أمام الملك المنثورة في كتب التاريخ غير مرتبة مع إلقاء النظر إلى مناهجه في المناظرات.

فالباحث يعتقد أن البحث جدير بالبحث حيث إن الإمام الباقلاني رحمه الله تعالى لم يعد عالما نحريرا ماهرا في علم مقارنة الأديان وإنما ذكر في التاريخ عالما في علم الكلام وأصولي الدين والفقه وعلوم القرآن والجدل. فإن الإمام الباقلاني لم يذكر عالما في مقارنة الأديان لأنه رأى هذه الحركات كلها من المناظرات والمصنفات جزءا من حياته من حيث إنه كان مجدد القرن الرابع الهجري.

وهذا البحث يختص من البحوث عن الإمام الباقلاني لأنه أظهر مساهماته في مقارنة الأديان. وهنا يعتقد الباحث أن هذا البحث يفيد لكل من المطالعين عن مساهمات القاضي الباقلاني في مقارنة الأديان وأن هذا قد جمع كل ما أراده في هذا البحث من ذكر مساهماته وجمع مناظراته مع النصارى ومناهجه فيها.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه الدراسة نافعة لمن أرادوا التطويل في مجال هذا الموضوع الخاص من المتعلمين والمحاضرين والطالبين. آمين

قائمة المصادر والمراجع

الكتب العربية

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد. **الكامل في التاريخ**. بيروت: دار صادر، ١٩٧٩م.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد. **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**. بيروت: دار صادر، 1358هـ.

ابن حزم، الإمام أبو محمد بن أحمد الأندلسي الظاهري. **الفصل في الملل والأهواء والنحل**. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، 1416هـ الموافقة سنة 1996م.

ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر. **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. بيروت: دار صادر، د–ت.

ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي. **تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري**. بيروت: دار الكتاب العربي، 1404هـ.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد عثمان. **سير أعلام النبلاء**. مؤسسة الرسالة، د–ت.

ابن فرحون. **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**. د–ط، د–ت.

ابن كثير. **البداية والنهاية**. دار إحياء التراث العربي، 1988م.

أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي. **تاريخ قضاة الأندلس**. بيروت، لبنان: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣م.

الأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف. **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**. مصر: المؤسسة المصرية العامة، د-ت.

أحمد إبراهيم الشريف. **العالم الإسلامي في العصر العباسي**. دار الفكر العربي، د-ت.

الإسفراييني، طاهر بن محمد. **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**. بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٣م.

الباقلاني، أبو بكر بن الطيب. **كتاب البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات**. تحقيق الأب رتشرد يوسف المكارثي اليسوعي. بيروت: المكتبة الشرقية، 1958م.

الباقلاني، أبو بكر ابن الطيب. **كتاب التمهيد**. تحقيق الأب رتشرد يوسف مكارثي اليسوعي. بيروت: المكتبة الشرقية، 1957م.

الباقلاني، القاضي أبو بكر محمد بن الطيب. **كتاب تمهيد الأوائل**. تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر. بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1407هـ الموافقة سنة 1987م.

الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب. **إعجاز القرآن**. تحرير السيد أحمد صقر. مصر: دار المعارف، ٢٠٠٩م.

بدر بن محمد طراد المعيقل. **جهود علماء المسلمين في الرد على النصارى خلال القرون الستة الهجرية الأولى**. المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى، 1425هـ.

الجزري، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني. **اللباب في تهذيب الأنساب**. بيروت: دار صادر، 1400هـ الموافقة سنة 1980م.

جودي صلاح الدين. **الإمام أبو بكر الباقلاني وآراءه الاعتقادية في ضوء عقيدة السلف**. مكة المكرمة: جامعة أم القرى، 1409هـ الموافقة سنة 1989م.

الحمداني، م.م. ميسون أيوب. **الباقلاني وجهوده في علم البلاغة**. د–م: د–ط، د–ت.

الخطيب البغدادي. **تاريخ بغداد**. بيروت: دار الكتب العلمية، د–ت.

الدكتور محمد رمضان عبد الله. **الباقلاني وآراءه الكلامية**. بغداد: مطبعة الأمة، 1986م.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد عثمان. **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**. تحقيق ياسر أبي شادي وخيري سعيد. المكتبة التوفيقية، د–ت.

الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله. **البحر المحيط في أصول الفقه**. لبنان، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.

الزركلي، خير الدين الزركلي. **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من الأعراب والمستعربين والمستشرقين**. بيروت، لبنان: دار العلم للملايين، د–ت.

السكوني، أبو علي عمر. **عيون المناظرات**. تحقيق سعد غراب. د–م: منشورات الجامعة التونسية، 1976م.

السمعاني، الإمام أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي. **الأنساب**. القاهرة، مصر: مكتبة ابن تيمية، ١٩٨٠م.

الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد. **الملل والنحل**. تحقيق محمد سيد كيلاني. بيروت، لبنان: دار المعرفة، د–ت.

عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي. **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**. دمشق: دار ابن كثير، د–ت.

علال بن يحيى. **مباحث البديع عند الإمام الباقلاني من خلال كتابه إعجاز القرآن**. الجزائر: كلية الآداب واللغات بجامعة الجزائر، 2008م.

الغزالي، حجة الإسلام أبو حامد محمد. **الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل**. استانبول: مكتبة الحقيقة، 2009م الموافقة سنة 1480هـ.

القاضي عياض، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي. **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**. تحقيق محمد سالم هاشم. الجزء الأول. بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، 1418هـ الموافقة سنة 1998م.

محمد بن عبد العزيز الخضيري. **المناظرة العجيبة**. الرياض. دار الوطن للنشر، 2000م.

وقار علي ابن مختار علي. **المناظرة الرشيدية**. ديوبند: مكتبة تهانوي، د–ت.

اليافعي، الإمام أبو محمد عبد الله بن أسعد. **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**. بيروت: دار الكتب العلمية، 1417هـ الموافقة سنة 1997هـ.

الكتب الإنجليزية

Ibish, Yusuf. *Life and works of al-Bāqillāni.* Islamad: Islamic Research Institute, International Isslamic University, 2016.

Kamar Oria, Kamaruzzamān. *Early Muslim Scholarship in Religionswissenschaft.* Kaulalampur: ISTAC, IIUM, 2003.

Thiele, Jan. *Between Cordoba and Nisabur: The Emergence and Consolidation Asharism(Fourth-fifth/tenth-eleventh Century).* 2015.